الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الدكتور مولاي الطاهر – سعيدة
كلية الآداب واللغات والفنون

قسم اللغة العربية

التخصص: لسانيات عامة

الآليات النوعية للإجمال والتفصيل في النص القرآني

من إعداد الطالبتين:

- خضراوي نبية
- سدار دليلة

تحت إشراف الأستاذ:

- عجال لعرج

السنة الجامعية 2017/2016

إهداء

- إلى من كلله الله بالهيبة والوقار .... إلى من منحني الحب والحنان .... إلى من علمني العطاء بدون انتظار .... إلى الذي رعاني وعلى الخير رباني ..... إلى أغلى إنسان على قلبي والدي العزيز حفظك الله وأطال عمرك « عبر الرحمن »
- إلى من ركع العطاء أمام قدميها وأعطتنا من دمها وروحها حباً .... إلى سندي ودعمي وكل محبي .... إلى الغالية التي نرى الأمل من عينيها إلى أغلى وأعظم أم والدتي الغالية « خيرة بن لكحل »
- إلى من سأحمل إسمه يومًا ما « أحمد سدي »
- إلى أخواتي ورفيقات دربي : عقيلة – سامية – فتيحة – وبناتها بشرى و رجاء.
- إلى شمسي المشرقة وملوكي في الحياة أخي : عبد الحق – محمد – عبد الله وزوجاتهم وأولادهم (أمينة – وئام – هديل – محمد).
- إلى زوجة عمي رحمه الله والتي هي أمي الثانية وأخواتي سعيدة – ميمونة – فاطمة – مريم وبناتها (لجين ودعاء) خديجة وابنتها (ملاك).
- إلى من شاركتني مشواري الجامعي ومذكرة التخرج صديقتي وحبيبتي سدار دليلة.
- إلى صديقاتي وحبيبات قلبي التي تقاسمنا معًا حلو الحياة ومرها (صبرينة حاجي – إيمان شامخة – نوال لعلي – حفصة).
- إلى خالتي كريمة وأولادها (وليد – حياة) وزوجات خالي وأخوالي وأولادهم (آية – إناس – أحمد – يوسف).
- إلى من نسيهم قلمي ولم ينساهم قلبي.

نبيــة

إهداء

- أهدي ثمرة جهدي إلى :
- إلى الينبوع الذي لا يمل العطاء إلى من حاكت سعادتي بخيوط منسوجة من قلبها والتي سعت وشقت لأنهم بالراحة التي لم تبخل بشيء من أجلي والتي علمتني أن السير عبر طريق النجاح يأتي بالحكمة والصبر إلى والدتي الحبيبة زهرة.
- إلى من كرس حياته وشق الصعاب وغرس في نفسي العزة والكرامة لأجل أن يرى نجاحي ،قدوتي في الصبر أبي العزيز طيب.
- إلى إخوتي : محمد – عبد القادر – أعمر – منور – قادة وزوجاتهم و أبنائهم : حسين – مروة "أُمُورْتِي" يوسف – ياسين – حسام.
- إلى شقيقاتي ورفيقاتي : فطيمة وابنتها سلسبيل – خيرة – بختة وابنتها هديل – فتيحة – كلثوم – منال.
- إلى من سأحمل إسمه خطيبي محمد دحماني.
- إلى زوجة عمي والتي هي أمي الثانية خضرة.
- إلى أعمامي وعماتي : عبد القادر – مرزوق – رقية – حليمة – منورْ.
- إلى زوجة عمي عائشة إلى كل بنات عمي وعمّاتي.
- إلى جدتي التي ساعدتني بدعواتها أطال الله في عمرها.
- إلى من سررت بصحبتها طيلة مشواري الدراسي ومذكرة التخرج حبيبتي ورفيقتي خضراوي نبية.
- إلى صديقاتي : مريم – زهرة – فتيحة – بدرة – نوال – ايمان – خديجة.
- إلى كل من عرفه قلبي و نسيه قلمي.

دليلة

شكر وتقدير

في مثل هذه اللحظات يتوقف اليراع قبل أن يخط الحروق ليجمعها في سطور كثيرة تمر في الخيال ولا يبقى لنا في نهاية المطاف إلا أن نخص بالشكر لله الأعظم الذي لا يطيب النهار إلا بشكره ،ولا تطيب اللحظات إلا بذكره ولا تطيب الآخرة إلا بعفوه ولا تطيب الجنة إلا برؤيته.

بشكر وعرفان منا بالجميل نتقدم بخالص الشكر وفائق الإمتنان إلى الأستاذ المشرف لعرج عجال الذي تعهد هذا البحث المتواضع وأفادنا بالنصائح والتوجيهات القيمة.

كما نتقدم بتشكراتنا إلى كل من حفزنا أو شجعنا ولو بكلمة طيبة من أجل إنجاز هذا العمل الذي نتمنى أن يجد فيه إخوتنا ظالتهم ونخص بالذكر الأستاذ مسكين إسماعيل بثانوية أولاد ابراهيم الذي لم يبخل علينا بمعلوماته.

كما نخصُ شكرنا وعرفاننا للسيد سدار أعمر ناظر بثانوية إبن سحنون الراشدي.

الذي تحمل عناء هذه المذكرة.

كما لا يفوتنا أن نشكر كل الأساتذة والمعلمين الذين أشرفوا على تعليمنا طيلة حياتنا الدراسية.

"والله ولـــي التوفيق"

مقدمـــة :

الحمد لله الذي أنزل القرآن كلامًا مؤلفًا منظمًا ،ونزله بحسب المصالح منجمًا وجعله بالتحميد مُفْتَتِحًا و بالإستعانة مختتمًا ، وأوحاه على قسمين متشابهًا ومحكما ،وفصله سورًا وسوره آيات ،أما بعد :

إن دراسة الأساليب القرآنية من خدمة كتاب الله ،وتجليه أوجه العظمة فيه ،بإبراز معانيه ،وتجلية مقاصده والوقوف على أسراره ،وجوانب إعجازه ،ومعرفة المنهج القويم ،والأساليب المثلى التي سلكها في تلقي المخاطبين ،فهو معين كل ينضب وكنز لا يفنى ورغم كل الدراسات فيه بمختلف توجهاته إلى أن الغوص لا يزال مستمرًا في أساليبه للكشف عن هذا الجمال المعجز.

ولا يخفى على عارف أن القرآن الكريم قد استخدم العديد من الأساليب بغية التأثير في السامعين للوصول إلى أهدافه وتحقيق غاياته من ذلك : أسلوب التكرار ،وأسلوب التقديم والتأخير ،والذكر والحذف ،والاستفهام والإلتفاف ،وأسلوب الإجمال والتفصيل الذي نحن في صدد دراسته والوقوف على أبعاده وأغواره في بحثنا هذا الذي وسمناه بـ « الآليات اللّغوية لظاهرة الإجمال والتفصيل في النص القرآني » التي تعد واحدة من الظواهر التي لفتت أنظار الباحثين والعلماء وعليه تطل علينا إشكالية الموضوع ممثلة في سؤال محوري يبحث في أهم الآليات اللغوية التي اعتمدها الإجمال والتفصيل وهو سؤال يفتح نوافذ عدة تتيح لنا الإجابة عن الأسئلة التالية :

أ-/ ما الأثر اللغوي لظاهرة الإجمال والتفصيل ؟

ب-/ وماهي الأدوات اللغوية المعتمدة في ذلك ؟

وللإجابة عن هذه التساؤلات اعتمدنا على المنهج الإستقرائي ومنهج تحليل المضمون الذي هو أحد أشكال المنهج الوصفي وذلك بجمع الآيات القرآنية ذات أسلوب الإجمال وربطها مع الآيات المفصلة لها وانطلاقا من هذا المنهج تمكنا من شق طريقنا سعيًا وراء وضع خطة البحث ،تقدم إجابة وافية عن هذه التساؤلات ،فانعقد البحث على مقدمة ومدخل وفصلين وخاتمة.

مقدمة والتي نحن بصددها ثم تبعناها بمدخل وفصل أول يعني بنظرية مفهوم الإجمال وقد تحلل إلى مباحث : كان الأول منها مبيناً للمفهوم في اللغة والاصطلاح وتفرع المفهوم الاصطلاحي إلى خمسة فروع ،حيث أخذ مفهوم الإجمال من تخصصات معرفية عدة.

أما المبحث الثاني فقد اشتمل على موضوع الأدوات اللغوية الإجمال فجاء على ستة مطالب تضمن كل مطلب أداة لفظية دالة على الإجمال مع الاستشهاد لها بالنصوص القرآنية ،وبيان دلالة الإجمال في النص عن طريق الاستدلال عليه بأداته تلك ،ولقد سعى الباحث على إثبات وجود دلالة الإجمال في (الأفعال) أيضا بأقسامها الثلاثة (الماضي ، المضارع والأمر) مع الوقوف على دلاله الإجمال في الآيات القرآنية التي وردت فيها تلك الأفعال استدلالا على إثبات وجود الإجمال في الفعل.

أما الفصل الثاني من هذه الدراسة فقد اهتم المبحث الأول بمفهوم التفصيل سالكين المسلك نفسه الذي اعتمدناه في ايضاح مفهوم الإجمال ذلك من أجل ضبط مفهوم من وجوه كافة اما المبحث الثاني فقد انعقد على خمسة مطالب تولى كل مطلب مهمة بيان أدوات التفصيل وقد كانت في أغلبها نحوية ثم عمدنا إلى ربطها بعملية البيان الإجمال مستدل في هذا بالنصوص القرآنية في إيضاح المعنى وزيادة معنى جديد لم يكن يتحقق من دونه.

وللإشارة فإن هناك العديد من الدوافع التي جعلتنا نختار هذا الموضوع ،منها دوافع ذاتية وجدنا انفسنا منقادين لهذا النوع من الدراسة تبعًا لرغبتنا الملحة وميلنا لهذا الموضوع ودوافع موضوعية تمثلت في كون الموضوع يجمع بين نوعي التخصص (البلاغة والاسلوبية) ولإتمام هذا البحث كان لزاما علينا تجاوز العديد من الصعوبات ويبقى في مقدمتها دومًا إقتناء التوثيق المتخصص والنوعي الذي يخدم الموضوع بشكل دقيق ،بالإضافة إلى صعوبة المدونة ،من حيث سماتها الموضوعية ،التي تقوم على فهم النص القرآني.

وقد إعتمدنا على العديد من المصادر والمراجع والتي من أهمها : كتب القرآن كتاب الأحكام في أصول الأحكام الآمدي ، أسرار العربية الأنباري ،الكشاف الزمخشري ، معاني النحو للسمرائي ،همع الهوامع للسيوطي.

وهي فرصة لنشكر كل من ساعدنا على تذليل هذه الصعاب حتى خرج هذا البحث إلى الوجود وبهذه الصورة ونخص بالذكر أستاذنا الكريم المشرف على أطروحتنا «لعرج عجال » الذي ساعدنا بتوجيهاته القيمة وقد كان لنا المعلم السديد الذي أضاء دربنا في هذا البحث وندعو الله أن يوفقنا ويسدد خطانا والله ولي التوفيق.

مدخل

إن كتاب الله تعالى أشرف ما صرفت إليه الهمم وأعظم ما جال فيه فلك ومد به قلم فهو منبع كل علم وحكمة وكل هدى ورحمة وهو أجل ما تنسك به المتنسكون من استمسك به فقد استمسك بحبل متين ومن سلك سبيله فقد سلك الطريق القويم وهدي إلى صراط الله المستقيم.[1]

فالقرآن الكريم يعد بحق معينا بالظواهر اللغوية والنحوية والبلاغية، إذ ليس هناك البتة نص يضاهيه أو يدانيه لا من قريب ولا من بعيد فهو يمثل أعلى درجان الفصاحة والبيان العربي.

فالنصّ القرآني يشغل المكانة الأسمى والأهمية المثلى في الدراسات الجامعية تحليلا وعرضا وتحديثا وتنتزع منه بعض الدراسات، رؤى يعاد انتابها لتتفق مع حاجات العصر لأنه النص الذي تغنى خزائنه ولا تنتهي عجائبه فإذا كانت تلك...[2]

المحاولات كلها شارحة لذلك النص المقدّس فإن البحث في نطاقه سيكون أشرق تلك المحاولات مجالاً، وأعلاها مرتبة، وأعمقها غوراً، لأنها تلتقط درر النص المعجز الذي ما ترك صغيرة لا كبيرة إلا أحصاها.

فبهرهم القرآن بنظمه وسياقه، وبديع ألفاظه وجميل معانيه وعظيم مقاصده ومبانيه فكان منهم الخضوع للقرآن هيبة وتعظيما، وإقراراً ببلاغته، وفصاحته، ويدل على ذلك ما قاله الوليد بن المغيرة لأبي جهل: "والله ما فيكم رجل أعلم بالشعر مني ولا برجزه ولا بقصيدته منّي، ولا بأشعار الجن، والله ما يشبه الذي يقول شيئاً من هذا، والله إن لقوله الذي يقول حلاوة وإن عليه لطلاوة، وإنه لمثمر أعلاه مغدق أسفله، وإنه ليعلو ولا يعلى عليه، وإنه ليحطّم ما تحته".[3]

ولقد تنوعت الأساليب في النص القرآني تحمل الحقيقة ظاهرة دون موارية، ولن يخاطب الله عباده إلا بأسلوب يدركونه، ويفهمون مراميه، لأن القرآن تناول الحياة الإنسانية كلها، وتعرض لمحيها المختلفة... تناول مسائل العقيدة، والتعاليم الخلقية، والأحكام، والدعوة والنصيحة، والعبرة والعظة والحجج، والشواهد، والقصص التاريخية، والإشارات إلى آيات الكون، والزجر،

[1] من الدراسات اللغوية القرآنية للأستاذ، الدفاض الياسري، العراق جامعة البصرة، كلية التربية قسم اللغة العربية، ط1، سنة 2011، ص 13.

[2] تفسير مفردات القرآن الكريم، كمال سليماني، مكتب الدراسات، دار الهدى عين الميلة، الجزائر، سنة 2012، ص 03.

[3] البيهقي: شعب الإيمان (14 مج)، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، ط1، 1423 هـ - 2003 م، 1 ص 287.

والتخويف، والترغيب، كل هذا في أسلوب بين لا يغرب عن الفهم، ولا يغرب عن الإدراك. وفي سياق عربي يجري مجرى الأساليب التي يستخدمونها، ويفهمون مراميها[1].

ومن الأساليب القرآنية أسلوب التكرار، وهذا الأسلوب في القرآن جدير باللفت والإنتباه، ولا يعدو هذا الأسلوب أن يكون لوناً من ألوان التمكين لخطاب الله تعالى، يعمل على تعميق المعنى المقصود في أذهان الناس.

إن الأسلوب القرآني جاء بأفصح بيان يدركه كل من طرق باب النص، وتدبر معانيه وتلك هي عظمة القرآن في أن يجمع بين البيان والإعجاز، كما نجده في حالات الإطناب بالتكرار يسوقها في بلاغة تتقطع دونها أنفاس البلغاء، وتقصر عن التعلق بها أيدي أصحاب البيان، ومن التكرار ما جاء في قول الله تعالى: "وَقَالَ الَّذِي آَمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ * يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآَخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ"[2]، تكرار لفظ (يا قوم) في آيتين متتاليتين هو نداء كرره مؤمن آل فرعون نصحاً لهم بعد تلك المراوغة التي لقيها من فرعون، ودعا قومه إلى الإيمان بالله الواحد الأحد، وأنّه يهديهم إلى سبيل الرشاد بعد أن انتشرت بينهم أكاذيب فرعون، وتعددت فتنته وضلالته.

كما أن تكرار اللفظ (يا قوم) يوحي بفضيض حبه لهم وأنهم قومه وعشيرته، وهم فيما هم فيه من الضلال، ويأتي التكرار في شكل متتابع، وفي سلسلة طويلة تنتظم السورة كلها، كما في سورة الرحمن، إذ تكرر قول الله تعالى: "فَبِأَيِّ آَلَاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَان"[3] وهذا التكرار المتعدد لم يكن يحدث اضطرابا في الأسلوب أو أثقل على السمع، كما يظهر ذلك في الأساليب العادية، تكررت هذه الآية كثيرا، فأتت عقيب بضع آيات في أول السورة، ثم عقيب كل آيتين أو كل آية.

ويأتي تكرار الآية "فَبِأَيِّ آَلَاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَان" في تعدد يربو على 31 مرة ومع هذا نجدها تترى في أسلوب متجانس متماسك، في أروع بيان وأحكمه، لفتا إلى نعم الله التي سخرها للبشرية كلها، فكلما ذكر الله تعالى نعمة من نعمة، جاءت الآية المكررة تقررها وتذكر بالإعتراف بها، وفي هذا التكرار تحريك لذهن السامع بين آن وآخر، وبوقع تتفتح له الآذان، وتعد نفسها لإستقباله، ولا شك أن ذلك ضرب من ضروب البيان والإظهار لآلاء الله تعالى، ولو جاء هذا العرض لنعم

[1] في الدراسات القرآنية: أحمد عبد الغفار، كلية الآداب، جامعة الأسكندرية، دار المعرفة الجامعية، سنة 1999 / 2000، ص 145م.
[2] المصدر نفسه: ص 171 – 172.
[3] سورة غافر الآيتان: 38 – 39.

الله تعالى بأسلوب يخلو من هذا التكرار ليغفل عنها كثير من الناس، وربما كان الإلتفات إليها بنفس فاترة وعقل شارد.

أما أسلوب المثل في القرآن فقد جعل منه صورة تبدو فيها الحياة والحركة ولم تكن ألفاظه مجرد إيقاعات يتعجب لمحمولاتها أو دلالاتها، ولكنها حركة تأخذ بيد الإنسان، وتقدم له العبرة والعظة وهو مجال يؤدي فيه المثل دورا هاما، إذ يسوق ما يريد الله أن يعظ به عباده في قضية شملت كل مقومات الإقناع، وصلحت لكل مراتب الفكر، فكان لها أثرها في تقويم وإصلاح سلوكها.[1]

ولقد تنوعت أشكال المثل في القرآن، فيقول الله تعالى: "وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ"[2]، إنما يوحي بتنوع الأمثال في القرآن، وتنوع المواقف... فيأتي المثل ظاهرا مصرحا به... وهو المثل (الصريح)، وذلك هو الشكل الأساسي للمثل المتعارف عليه، من هذا قوله تعالى: "وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ"[3]، تتعرض الآية هنا لصفة الكافر في أنه يشبه الناعق الذي ينادي بالأصنام، تلك التي تشبه البهائم حين يلقى إليها القول فلا تحيد فقد ساق المثل تشبيها يتعلق بالناعق وآخر يتعلق بالمنعوق، ثم تشير الآية إلى الموقف بعامة، فتشبيه الكافرين في موقفهم بالصم البكم العمي... ولا يعبّر كل شبه من هذه التشبيهات مستقلا بذاته في الصورة التمثيلية لأن الفرض المقصود من هذه الصورة لا يتحقق إلا بإمتزاجها وتلاحمها وارتباط التشبيهات جميعا حتى يأتي المثل في صورة متكاملة تؤذي ما تهدف إليه.

وفي هذا المقام يجدر بنا أن نشير إلى أن التشبيه يختلف عن المثل كما يقول البرجاني: "فاعلم أن التشبيه عام والتمثيل أخص منه".

ومن الأساليب القرآنية ما يلحق بالمثل، ويمكن أن نطلق على تلك الأساليب لواحق المثل، وهذه الأساليب تؤدي ما يؤديه المثل ويرد فيها التشبيه والتمثيل ولكنها لا تحمل أي أداة من أدوات التشبيه.

---

[1] المصدر نفسه: ص 181 – 182.
[2] سورة الزمر: الآية 27.
[3] سورة البقرة: الآية 171.

وقد أشار السيوطي إلى أن: "أمثال القرآن قسمان: ظاهر مصرح به، وكامن لا ذكر للمثل فيه". ويقصد بالمثل الكامن على أنه نوعان: نوع يحمل الصورة التمثيلية ظاهرة ولا يصرح فيه بأداة التمثيل، وهذا الظاهر والنوع الآخر به صورة تمثيلية ولكنها لا تظهر إلا بعد دقة نظر وتدبّر لأنّها كامنة فيه، وهذا (الكامن أو الضمني).[1]

أما المثل الظاهر كما يبدو هذا المثل في قول الله تعالى: "وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ ۚ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ".[2]

تتناول الآية صورة يتمثل فيها إحياء الموتى بالأرض الخاشعة اليابسة الجدبة والساكنة الهامدة حال مواتها، صورة بينة واضحة، تظهر أمام الرائي، ولا يمكن أن يغفلها نظر أو ينكرها عقل، تجسم البحث وهو أمر غيبي، وتنقله إلى حركة مشاهدة ومحسوسة وتحمل المثل دليلا قاطعا بما يثبت هذا الأمر الغيبي، ويبعده عن محل الشك والنكران، وفي هذا الأسلوب تبدو الصورة التمثيلية واضحة إلاّ أنه لم يصرح فيه بأداة تمثيل أو تشبيه.

وصورة أخرى تظهر في قول الله تعالى: "إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا"[3]، تسوق الآية مثلا لمن تسوّل له نفسه أخذ مال اليتيم بأن يمد إليه يده خيانة له وغدرا به، ويدسّ هذا المال في بطنه نهماً وشرهاً، وواضح أن المثل يشبه المال بالنار التي تحرق وتجهز على كل من يتناولها، فجزاؤه أن يحرق في دنياه، ويصلى سعير جهنم في أخراه، وفيما يخص المثل الكامن أو الضمني قول الله تعالى: "وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا"[4]، والآية محل المثل تتناول صفة الإعتدال، وهو مبدأ هام من مبادئ الإسلام، فمثّلت هذا الإعتدال بالمنفق الذي لم يسرف في إنفاقه، ولم يفتر، والذين قد سلك مسلك الإعتدال في كل شيء... في عباداته، ومعاملاته، وعاداته، وقد شخّص المثل هذا المسلك، فنقله من المعنى المجرد إلى صورة تبدو فيها الحركة، وهي صورة الإنفاق الزائد عن الحد، والأحجام الذي يصل إلى التقتير، وكلاهما أمران مذمومان.

---

[1] المصدر نفسه: ص 183 – 199.
[2] سورة فصلت: الآية 39.
[3] سورة النساء: الآية 10.
[4] سورة الفرقان: الآية 67.

وهناك أسلوب آخر وهو الأسلوب القصصي وقصص القرآن قصص حق لا مرية فيه ولا ريب، فهو من عند الله الحق، والله يقص الحق، ويقضي بالحق، والقرآن الكريم حافل بالقصص من بينها قصة موسى الكليم عليه السلام، قال تعالى: "وَاذْكُرْ فِي الكتاب مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصاً وَكَانَ رَسُولا نَّبِيّاً * وناديناه مِن جَانِبِ الطُّورِ الأَيْمَنِ وقربناه نَجِيّاً * وَوَهَبْنَا لَهُ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هـارُونَ نَبِيّاً"[1]. وقد ذكره الله تعالى في مواضع كثيرة متفرقة من القرآن، وذكر قصته في مواضع متعددة مبسوطة ومتوسطة ومختصرة ذكرت مبسوطة في سورة الأعراف في قوله: "وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ * فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ * وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ * فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ".

وكذلك هناك قصة يوسف إبن يعقوب عليه السلام، وقد أنزل الله عز وجل في شأنه وما كان من أمره سورة من القرآن العظيم، ليتدبر ما فيها من الحكم والمواعظ والآداب والمأمر الحكيم[2]. قوله تعالى: "الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ * إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ * نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَـذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ".[3]

ينبه الله تعالى على ما في هذه القصة من الآيات والحكم، والدلالات والمواعظ والبينات، ثم ذكر حسد إخوة يوسف له على محبة أبيه له ولأخيه أي شقيقه لأمن بنيامين، أكثر منهم، وهم عصبة أي جماعة يقولون: فكانت أحق بالمحبة من هذين: "إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ"، أي بتقديمه حبهما علينا. ثم أشتوروا فيما بينهم في قتل يوسف أو إبعاده إلى أرض لا يرجع منها ليخلوا لهم وجه أبيهم، أي لتتمحض محبته لهم وتتوفر عليهم، وأظهروا التوبة بعد ذلك.[4]

ومن الأساليب القرآنية أيضا أسلوب الإجمال والتفصيل الذي هو موضوع دراستنا وهو من الظواهر القرآنية التي لا تكتمل إذا درست في نطاق الأسلوب فقط ولا تبرز جمالياتها إذا درست في نطاق المضمون فإحتاجت إلى منهج تكاملي في أدواته ورؤيته لدراسته على نحو شمولي

[1] سورة مريم [الآية 51 – 53]
[2] قصص الأنبياء للحافظ عماد الدين أبي الغداء إسماعيل بن كثير، دار الجوزي – جمهورية مصر العربية، القاهرة، ط2، سنة 2014، ص 180.
[3] سورة يوسف [الآية 1 –3]
[4] المصدر نفسه ص 183.

للوصول إلى تذوّق خاص لهذا التعبير عن طريق الغوص في أعماقها، وهو أسلوب بلاغي يرد فيه الكلام إبتداءا بالإيجاز وإختصار لفرض بلاغي ثم يتبعه بيان وتغيير.

الفصل الأول: الإجمال في النص القرآني

مفهوم الإجمال:

أستعرض في هذا المبحث تعريف الإجمال لغة اصطلاحا حتى أصل من خلال ذلك إلى معرفة المقصود بأسلوب الإجمال من أجل الوقوف على أهميته البلاغية.

المبحث الأول: مفهوم الإجمال في اللغة والاصطلاح

قبل أن نتطرق للمعنى الاصطلاحي لمفهوم الإجمال لابد من أن نتعرف عليه في المعجمات العربية علنا نجد معنى له يوضحه.

المطلب الأول:

نجد في المعاجم العربية مادة جمل في: «جمل البحر : ضرب من السمك ويقول أيضا الجامل : قطيع من الإبل برعائها وأربابها من البقر والباقر[1]ووافقه الجوهري من الفراء في أن الجمل هو زوج الناقة والجمع جمال وإجمال وجمالات و جمائل »[2]

قال ذو الرمة :

«وقَرَّبْنَ بالزُّرْقِ الحَمائِلَ، بعدما تَقَوَّبَ عن غِرْبانِ أَوْرَاكِها الخَطَرُ »

أما ابن منظور فيقول: جمل : الجمل الذمر من الإبل :قيل إنما يكون جملا إذا أَرْبَعَ ، وقيل إذا أَجذع ، وقيل إذا بزَل ، وقيل إذا أَثْنَى ؛ قال :

نحن بنو ضَبَّة أَصحابُ الجَمَل الموت أَحلى عندنا من العسل[3]

ومن امثال العرب اتخذ فلات الليل جملا إذا سرى الليل كله، أو إذا ركبته ومضيت كما نجد أن أصحاب المعجمات قد عبروا عن الإجمال بلفظة الجملة وقد أرادوا بها معنيين ضم الشيء إلى الشيء كما في إجمال الحبل وجمع التفصيل على سبيل الشمول والكلية الذي يبتعد به عن البيان

[1] الخليل بن أحمد الفراهيدي : معجم العين : ج6 مطبعة دار الهلال ،د.ت.ص 141-142.
[2] الجوهري : (الصحاح) تاج اللغة وصحاح العربية ،مطبعة دار العلم للملايين – بيروت ط4 1407هـ-ج4 ص661.
[3] إبن منظور : لسان العرب مطبعة دار صادر للطباعة والنشر بيروت- لبنان – ط1- د.ت.

المدرك في حال تفصيله كما في إجمال الحساب كأن نقول أجملت الحساب أي جمعته وجعلته جملة واحدة.

المطلب الثاني : مفهوم الجمل في الاصطلاح

يمثل المصطلح ركيزة أساسية في المجالات العلمية كافة ،فهو أداة تعبيرية تقوم بعملية ضبط المفاهيم واختزالها اختزالا مكثفا في لفظ واحد ،أو لفظين مركبين فكل مصطلح هو في الأصل عبارة عن مضمون فكري مكثف ،فالمصطلح يعبّر عن فكرة لا تستوعبها لفظة واحدة إلا على سبيل الوضع ،لأن ذلك الوضع المعجمي قاصر عن التعبير عن الفكرة إلا باستعمال أكثر من لفظة لإيصال تلك الفكرة ،إذا لكل لفظ دلالة معجمية معينة ،لذا إن عملية إذابة هذه الألفاظ المعجمية المعبرة عن الفكرة وصبّها بلفظ موصّل موضوع بغاية الاختزال هو ما تسمية بـ(المصطلح)[1]

أولا : مفهوم الإجمال عن الأصوليين

- لقد عرف الأصوليون المجمل بتعاريف متعددة، يتلقى جميعها عند محصلة واحدة هي أن المجمل ما لم تتضح دلالته.

فقد عرّفه البزدري :« هو ما ازدحمت فيه المعاني ، واشتبه المراد منه اشتباها لا يدرك بنفس العبارة ، بل الرجوع إلى الاستفسار ثم الطلب ثم التأمل »

وعرّفه الغزالي :(ت505 هـ) في المستصفى بأنه :« لفظ يتردد من معنيين فصاعدا من غير ترجيح[2] »

وعرّفه النسفي (ت710 هـ) في مناره بأنه : « ما ازدحمت فيه المعاني »

وهكذا ذكره الشرّاح الأصوليون، وخلاصة الأقوال أن المجمل : هو لفظ تواردت عليه المعاني دون ترجيح لأحدهما ،فخفي المراد منه ،إلا أن الخفاء في المجمل لا يدرك بالعقل وإنما سيتولى توضيح المراد بيان ممن صدر عنه الإجمال.

[1] ابن دريد – جمهرة اللغة – دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة 1 – سنة 2005 – ص111.
[2] الغزالي أبو حامد – المستصفى من علم الأصول – المطبعة الأسيرية الاولى – مصر – سنة 322 هـ - ص345.

- والمجمل على ثلاثة أنواع : نوع يفهم معناه كـ « الهلوع» قبل التفسير.

ونوع معناه معلوم لغة ، ولكن ليس بمراد كالرّبا والصلاة والزكاة.

ونوع معلوم لغة إلا أنه متعدد ،والمراد واحد منها ،ويمكن تعيينه بالإستفسار وبالطلب من الكتاب والسنة[1]

ومن هذا الباب الاصطلاحات الشّرعية أو العبارات القرآنية الخاصة بالأحكام التكليفية التي لها معان لغوية ،فإنه يرجع في بيانها إلى صاحب الشّرع لتفسيرها ،فإذا أظهر المراد من المجمل التحق بالمفسّر وأخذ حكمه ،وذلك في كل من : الصلاة التي كان الأمر فيها مجملا وبينته السنة بالقول والعمل ،والزكاة والبيوع التي ذكرت مجملة ، ثم بينته السنة أيضا بيانا تفصيليا ينظم التعامل بين بني الإنسان ،وكذلك الحج ،وغيره ذلك من أمور العبادات والمعاملات ،وحتى في أحكام الجنايات ، فقد نص القرآن على وجوب الدية ،وفصلت السنة مقدارها ،وبينت أحوالها ،وذكر القرآن الكريم أن الجروح قصاص ،وبينت السنة أحكام هذا الجروح ومتى يمكن القصاص الكامل ومتى يمكن غير ذلك [2] »

- و من أمثلة المجمل الوارد في القرآن الكريم الذي فسرته السنة النبوية وثيقة بيانا وافيا قاطعا لفظ «الرّبا» في الآية الكريمة « الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا ۗ وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا »[3]

فإن لفظ «الرِّبَا» جاء مجملا ، وقد فصّله الرسول عليه الصلاة والسلام بقوله «الذَّهَبُ بِالذَّهَبِ وَالْفِضَّةُ بِالْفِضَّةِ وَالْبُرُّ بِالْبُرِّ وَالشَّعِيرُ بِالشَّعِيرِ وَالتَّمْرُ بِالتَّمْرِ وَالْمِلْحُ بِالْمِلْحِ مِثْلاً بِمِثْلٍ سَوَاءً بِسَوَاءٍ يَدًا بِيَدٍ فَإِذَا اخْتَلَفَتْ هَذِهِ الأَصْنَافُ فَبِيعُوا كَيْفَ شِئْتُمْ إِذَا كَانَ يَدًا بِيَدٍ فمن زاد فقد أربى والأخذ والمعطي فيه سواء »

[1] الرازي فخر الدين – المحصول في علم أصول الفقه – النشر : السعودية – الطبعة 1 – سنة 1979 – ص231.
[2] محمد أبو زهرة – أصول الفقه – دار الفكر العربي – القاهرة – ص131.
[3] سورة البقرة – الآية 275.

ووجه أن «الرّبا» من المجمل : هو أن لفظه في أصل وضعه اللّغوي عبارة عن الزيادة والنماء ،لكن صاحب الشّرع عدّ الزيادة التي تعارف عليها أهل الجاهلية من أخذ الزيادة في رباها هو المقصود في التحريم في الآية[1]

ثانيا : مفهوم الإجمال عند المفسرين:

مما رصد عن المفسرين من معنى للمجمل ما نجد في مقولة القرطبي من أن «المجمل مالا يراه منه » وهذا يدل على أن المجمل ينطوي في مفهومه على الإبهام بيد أن القول قابل للإنطباق على اللفظ المطلق والعام والمتشابه ،من هذا نجد أن القرطبي قد فهم المجمل بأنه« ما كان يفتقر إلى البيان »، وقد وافقه في هذا الفهم جملة من المفسرين فهو ما لا يمكن أن يتعين فيه محمل من محامله ، وفي هذا القرار على أن اللفظ المجمل تتردد فيه وجوه ومحامل عدة لا يعف للمتلقي الإرساء على حد واحد منها وفي موضع آخر عرفه على أنه اللفظ الذي «لم يوضع في اللغة لمعنى معين» يستبان به عليه ،واستشهد لهذا التعريف «الحين» إذ يرى عدم إمكانية قصرها على وقف زمني محدد وإنما تكون مدة هذه اللفظة مجملة لدى السامع ،لأن وضع الأصل لها في اللغة لم يتعين بمعنى مفصل ابتدءا ،ونجد القرطبي بهذا متوافقا مع ابن فارس في رؤيته لهذه اللفظة التي لم يضعها تحت مصطلح «المجمل» كما فعل القرطبي وإنما أرجعها إلى جنس اللفظ (المشتبه) الذي يمثل المعامل الموضوعي لمصطلح (المجمل)[2]

- وكان الراغب الأصفهاني أقرب من سابقيه إلى مفهوم المجمل إلى حد ما إذ يقول إن «حقيقة المجمل هو المشتمل على جملة أشياء كثيرة غير مخلصة » فهو من جنس الكلام الذي خفي بيانه وتفصيله المتلقي ،لتشابك المعاني فيه دون قدرة على تخليص معنى دون آخر ،إن هذا التعريف الذي جاء به الراغب للمجمل لا يسلم من مؤاخذة ،إذ يعد من التعاريف المفتوحة أيضا ،لما له من صلاحية إنطباق أكثر من مفهوم مناظر للمجمل مما سواه[3]

- ونجد أن من المفسرين من خلط مصطلح المجمل بالمتشابه وهو الرازي إذ ينص على ذلك بقوله « أما المتشابه وهو الذي أسميناه المجمل وهو ما يكون دلالة اللفظ بالنسبة إليه وإلى

[1] ورد الحديث في صحيح مسلم – بشرح النووي حديث رقم 1587 – ورد الحديث في كنز العمال – 94/4 كتاب البيوع.
[2] القرطبي – الجامع لأحكام القرآن – مطبعة دار الشعب – القاهرة –ط2 – سنة 1382 هـ.
[3] الراغب الأصفهاني – المفردات في غريب القرآن – مطبعة دار المعرفة – لبنان – د- ت.

غيره على السوية فإن دلالة هذه الألفاظ على جميع الوجوه التي تفسر هذه الألفاظ على السوية»

نقول إن المجمل يختلف عن المتشابه في جملة وجوه ،وإذا اتفقا في أنهما من جنس اللفظ المبهم ،ويبدوا من تعريف **الرازي**أنه اشترط مبدا (التكافؤ) و(التسوية) بين المعاني في اللفظ المجمل ويعد هذا المبدأ من أهم الأسس التي ينهض عليها مفهوم (المجمل) ،ويرى المجمل في موضع آخر بأنه اللفظ الذي يحتمل أكثر من معنى دون ترجيح على حد سواء ،وهذا المعنى يؤيد كلامه السابق ،إذ لا يسمح اللفظ المجمل بالترجيح بين معانيه لأن تلك المعاني المختلفة فيما بينها متطابقة فيه على السوية[1]

- فمن العرض السابق لمقولات علماء التفسير في المجمل تصل إلى أن المجمل لديهم مما لا تعيين فيه لأحد معانيه فقد أبهم المراد منه وافتقر إلى البيان ،لتساوي المعاني فيه من غير تخليص ،واختلاطها فيه اختلاطا لا يسع المتلقي معه أن يدرك من ظاهره معنى مفصلا بيّنا إلا بكلام لاحق عليه مفسّرا لإجماله.

ثالثا : مفهوم الإجمال عند البلاغيين:

لقد تناول علماء اللغة مفهوم المجمل تحت المصطلح نفسه تارة كما فعل أبو هلال العسكري إذ يقول « المجمل ما يتناول جملة أشياء أو ما ينبئ عن الشيء على وجه الجملة دون التفصيل» فهو لا يمكن أن يعرف المراد به خلاف المفسر» في نظره هو اللفظ المعرب عن مجموعة من المعاني متضمنة فيه ،قد لفها على سبيل الإجمال من دون أن يكون فيه ملمح إلى موضوح أحد المعاني من بين سائر المعاني الأخرى[2] وأتى على منواله الجرجاني بقوله «المجمل ما خفي المراد منه بحيث لا يدرك بنفس العبارة» ذلك بأن المجمل مبهم مستغلق الفهم عند المتلقي والمجمل لا يفسر من اللفظ نفسه وإنما لإزالة الإبهام يستعين بلفظ آخر لتفصيله وإيضاحه فالمجمل لا يوقف على المراد منه إلا بيان من جهة المتكلم وكما يرى أبو البقاء إن الإجمال

[1] الرازي : التفسير الكبير – مطبعة دار الكتب العلمية – بيروت – ط1 – سنة 2000م - ص
[2] العسكري : أبو هلال – الفروق اللغوية – مطبعة الآفاق الجديدة – بيروت – ط3 – 1989.

يتحقق بـ « إيراد الكلام على وجه يحتمل أمورا متعددة» يصعب تعيين واحد منها فلزم الإبهام للفظ واحد واحتيج إلى تفصيل من آخر[1] .

أما ممن ذكره من اللغويين تحت مصطلح آخر إبن فارس إذ يورده تحت مصطلح المشكل فيقول فيه هو«الكلام الذي لم يفسّر بعد»

ويمثل له بين أبي ذؤيب :

صَخِبُ الشَّوارِبِ لا يَزَالُ كأَنَّهُ عَبْدٌ لِآلِ أَبي رَبيعَةَ مُسْبَعُ

فيقول في هذا (مسبع ما فسر حتى الآن تفسيرا شافيا) هذا يدل على أن هذه اللفظة وصفت لها تفسيرات كثيرة لم تقع على تفسير شافي مفصّل لها دون آخر وهنا دخلت هذه اللفظة في نطاق الإجمال من دون أن يكون لها تفسير قاطع و ابن فارس عبّر عن الإجمال أيضا بأنه المشتبه فيوحي بتوحيد تعددية الدلالة للفظ المجمل على أساس التكافؤ الذي يدعو إلى الوقوع في الاشتباه فهو ما تشابهت فيه المعاني فحملت على إجمالها دون الجزم بأحدها وعبّر عنه كذلك بالمشترك فللدلالة على أن هذا النوع من الألفاظ يمتلك قابلية التحمل وسلطة الاحتواء لأكثر من معنى في وقت واحد[2].

مما تقدم نصل إلى أن الأقوال بجملتها تدل على أن الإجمال عند اللغويين هو ما دل على معان متعدّدة ففي القصد منها ،وتشابهت إلى حدّ الإشكال والتفصيل لا يدرك من نفس اللفظ إذ لا مزية فيه تسوغ للمتلقي القطع بها فتفرغ جميع المعاني من اللّفظ المجمل وتثبت له معنى واحدا يعد مُفَصِلاً لإجماله ، لأن جميع المعاني التي يستوعبها اللفظ المجمل تحمل في طياتها سمة الاحتمال والتقريب دون التفصيل والتثبيت»[3].

رابعا: مفهوم الإجمال في اصطلاح النحويين:

أحدث النحاة طفرة نوعية في خصوصية مفهوم الإجمال وذلك بلفتهم إلى قسم جديد له ،فبعد أن كام يدور في حدود منطق اللفظ المفرد عن اللغويين وبعض علماء الأصول فإن النحاة قد

[1] الجرجاني : التعريفات – مطبعة دار الكتاب العربي – بيروت – سنة 1409 هـ - ص
[2] ابن فارس : الصاحبي في فقه اللغة – الطباعة والنشر – بيروت – لبنان – سنة 1923م
[3] المفضل الضبي : المفضليات – د – ت ص105.

كسروا هذا المنطق ليؤسسوا لنا مفهوم التركيب المجمل يقول إبن يعيش (هو أن تخبر أحدا أو تذكر لفظا يحتمل وجوها فيتردد المخاطب فيه) فالخبر لابد لتأديته من تركيب يعبّر عنه ،من هنا وقع التردد لدى المخاطب في هذا التركيب فكان التركيب مجملا مبهما يحتاج إلى تفصيل يبينه« فالإجمال يكون في جملة ومفرد ،فالجملة قولك طاب زيد نفسا ،وتصبب عرقا ،وتفقأ شحما ،ألا نرى أنه الطيبة في قولك :طاب زيد ،مستندة إليه والمراد شيء من أشيائه ويحتمل ذلك أشياء كثيرة».

وأما في المفرد فنحو قولك :عندي راقود خلا ،ورطل زيتا ،وسنوان سمنا[1] ،فنجد أن((المجمل الذي بيّنه التمييز في الحقيقة هو المقدّر بالمقدار لا نفس المقدار)) ذلك بأن التمييز في الأشياء لم يأت لرفع الإبهام في الجملة وإنما البيان نوع الراقود إذ الإبهام وقع فيه وحده ولإحتماله أشياء كثيرة كالخل والتمر والعسل وغير ذلك))

وإذا تأملنا في حد التمييز عند النحاة، فسنجد أن المجمل مقسم فيه تقسيما جليا باديا لكل ذي نظر ،حيث يعرفون التمييز على أنه ((رفع الإبهام في جملة أو مفرد بالنص على أحد محتملاته))[2] أو يحدونه بقولهم ((اسم نكرة متضمن معنى (من) ليبين ما قبله من إبهام ذات أو نسبة)) في تركيب ويقسمونه إلى قسمين :

1- المفصل لإجمال الذات: وهو الذي يقع بعد المقادير وشبهها وبعد الإعداد وبعدما هو فرع له.
2- المفصل لإجمال نسبة: وهو ما يبين إجمال نسبة شيء إلى شيء نحو : (حسن محمد خلقا) فلفظة (خلقا) بينت نسبة الحسن إلى محمد في التركيب ’فليس (محمد) هو المجمل وإنما (حسن محمد).

خامسا :مفهوم الإجمال في اصطلاح البلاغيين :

ما ذكر عن البلاغيين من ذكرهم لمفهوم الإجمال المعنون بالتوجيه أو الإيهام إذ يقولون: ((هو إيراد الكلام محتملا لوجهين مختلفين)) من المعنى ،وكذا الحال المجمل فهو ينطوي على أكثر من معنى فيكون فيه ((الكلام محتملا معنيين على حد سواء)) فأكثر ولربما أراد البلاغيون من

[1] ابن يعيش : شرح المفصل : مطبعة عالم الكتب ،بيروت – لبنان ،د.ت ج2/ص70.
[2] الزمخشري : المفصل في العربية : مطبعة دار الجيل ،بيروت – لبنان ، د.ت ص65.

تسمية المجمل بالتوجيه أو الإبهام هو أن التوجيه يؤول بمعناه إلى دفع ذهن المتلقي إلى وجوه وإتجاهات متباينة في المعنى فلا يسع المتلقي بذلك إدراك أي وجه يراد من الكلام أما الإيهام فهو يعني دخول الإبهام على الكلام لإضطرابه بين كثرة معان مما يفضي إلى توهم السامع في المعنى المحتمل[1].

أما العلوي أطلق على الإجمال مصطلح ((الإبهام)) وكان عنده على صنفين الأول وهو ((ما ورد مبهما من غير تفسير كما فيه من المحتملات الكثيرة)) التي يصعب معها الوقوف على واحدة منها أما الثاني فهو ((الإبهام الذي ظهر تفسيره)) [2]

وبيانه في النص ومن مقولته هذه أنه تنبه إلى أن الإجمال منه ما يبقى على إجماله غامض مبهم لا تفسير له ومنه ما يُفَصّل ببيان لاحق عليه من هنا يظهر أنه ليس كل مجمل يلزم أن يكون له تفصيل الضرورة.

ويبدو أنه العلوي قد أدرك تمام الإدراك بأن المجمل لا يمكن للترجيح أن يتحقق فيه البتة لذلك اصطلح عليه بـ الإبهام يقول : ((اعلم أن المعنى المقصود إذا ورد في الكلام فإنه يفيده بلاغة ويكسبه إعجابا وفخامة ،وذلك لأنه إذا قرع السمع على جهة الإبهام فإن السامع له يذهب في إبهامه كل مذهب)) ذلك((بأن الإبهام أولا يوقع السامع في حيرة وتفكر واستعظام ،كما قرعه سمعه ،فلا تزال نفسه تنزع إليه وتشتاق إلى معرفته والإطلاع على حقيقته))[3]

المبحث الثاني: الأدوات اللغوية الإجمال في النص القرآني ودلالاتها

المطلب الأول: دلالة الإجمال في النكرة

النكرة: كل ما علق في أول أحواله على الشياع في أمته بحيث يدل على واحد لا بعينه والأَصل في اللفظة النكرة ،والمعرفة عارضة فيها[4]

[1] التفتازاني : مختصر المعاني : مطبعة قدس – قم – ط1 سنة 1411 هـ - ص256.
[2] المراغي : علوم البلاغة : مطبعة دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – ط2 -1986م ص345.
[3] العلوي : الطراز – مطبعة المقتطف – مصر – سنة 1332 هـ - ج2 – ص78.
[4] الزمخشري : المفصل في علم العربية ص198 وابن الحاجب الكافية في النحو ص129.

فإن مفهوم النكرة يمكن التأسيس على أنها تمثل المطلق بعينه ،لأنه يدل على ماهية شائعة بين أبناء جنسها ،وهذه الماهية تدل على واحدة من الماهيات لا بعينها ،غير أن من النكرة التي لا تدل على ماهية الماهيات التي يمكن تجزؤها ،فما قبل من النكرات التجزؤ كان مطلقا وما لم يكن خاضعا للتجزؤ ،بل هو من أسماء المعنى كان مجملا ،أو هو أقرب بإجماله من القول بإطلاقه لأنه يكون أشد إبهاما من النكرة المطلقة ،لأن في الأخيرة ملمحا لوضوح المفهوم دون تحديد الانطباق.[1]

و من أمثلة النكرة (المجملة) في سياق الإثبات قوله تعالى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (10) تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ » نجد أن لفظة (تجارة) وهي نكرة مثبتة قد دلت على الإجمال وذلك بدليلين :

الأول: إنه قدم النداء قبلها والسؤال عنها فقال (يا أيها الذين آمنوا) والنداء يؤدي وظيفة تشد الانتباه إلى ما هو مهم لدى المخاطب ،ثم سأل عنها بقوله (هل أدلكم على تجارة) فكأنهم لا يعرفون السبيل إلى هذه التجارة.

الثاني: أنه تعالى قد (فسّر تلك التجارة فقال (تؤمنون بالله ورسوله) أي تعترفون بتوحيد الله ،وتخلصون العبادة له، وتصدقون رسوله فيما يؤدي إليكم عن الله فكأنهم قالوا :لو نعلم ماهي؟ لبذلنا فيها الأموال والأنفس ،فقال الله :تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيله بأموالكم وأنفسكم[2]

وبهذا سلكت الآيتان في التعبير على وسيلة النجاة طريق الإبهام أو الإجمال حيث :

أولا: عبّرت عنها بلفظ (تجارة) في الآية الأولى ،وهذا يجعل نفس المؤمن يتشوق إلى استيضاح تلك التجارة المنجية من العذاب ،فإذا ما أوضحت له الأية الثانية ذلك على سبيل التفصيل بمعرفة المراد من لفظة (تجارة) المجملة.[3]

[1] ابن الأنباري : أسرار العربية – مطبعة دار الجيل – بيروت – ط1 – سنة 1995 ص341 .
[2] ينظر الطوسي : التبيان في تفسير القرآن – مطبعة قم – مكتبة الاعلام الإسلامي – ط1 سنة 1987 – ج9- ص596.
[3] ينظر الطوسي : التبيان 596/9 – الرازي التفسير الكبير 284.

ومنه قوله تعالى : « يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ۚ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ ۚ وَآتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَانًا مُّبِينًا (153) »[1] عند التأمل في الآية نجد لفظة (أكبر) وهي من (أفعل) التفضيل قد وردت مجملة وهي نكرة في سياق إثبات ،إذ لا يمكن معرفة ما هو هذا الأكبر مما سئل به الرسول صلى الله عليه وسلم حيث يخبر سبحانه في أول الآية بأن اليهود سألوا الرسول (أن ينزل عليهم كتابا من السماء مكتوبا كما كانت التوراة مكتوبة من عند الله في الألواح ،وأن هذا السؤال وإن كان من آبائهم لكنه أسند إليهم لتبعيتهم لمهم ورضاهم بفعالهم ولأنهم كانوا على مذهبهم ثم يريد سبحانه أن يبين لنبيه هذا السؤال الموجع إليه ليس بعظمة ما سئل موسى عليه السلام قبله من اليهود حيث سألوا موسى أعظم من ذلك بعدما آتاهم بالآيات القاهرة فعبر سبحانه عن عظم السؤال بقوله (أكبر) بيد أن هذا الأكبر مجمل غير مفصل فلا يعرف المراد منه لذا فصّله سبحانه بقوله (فقالوا أرنا الله جهرة) والفاء في صدارة القول أفادت دلالة عطف المفصّل على المجمل فهم أرادوا رؤية الله تعالى عيانا بأبصارهم حتى يؤمنوا[2].

فهم أرادوا رؤية الله تعالى عيانا بأبصارهم حتى يؤمنوا وبهذا فضل سبحانه المجمل (أكبر) ويبدوا أنه في عملية الانتقال من الإجمال إلى البيان زيادة اهتمام ومبالغة في عظم ذلك الأمر ،إذ أورده سبحانه مجملا ابتداء ليترك المتلقي في حال تأمل وتفكر وسعي وراء معرفة التفصيل بشغف وولع ثم فصله حتى يقف المتلقي على المراد من المجمل ويوحي الانتقال من الإبهام إلى البيان في الآية بشدة اهتمامه تعالى بمسألة تسلية الرسول صلى الله عليه وسلم ،وعدم احتمال قلبه للحزن والتحقيق والتخفيف عنه ،لأنه قد اهتم بما طلبه إليه اليهود ،فجاء سبحانه بما هو أعظم مما طلبوا فأبهمه أولا ثم بيّنه ،ليدل على فضاعة المطلب من اليهود ،حق إنه سبحانه لم يرد أن يذكره صراحة في أول الأمر لصعوبته وإكباره لدى المتلقي فاتبع الإبهام ثم البيان ،حق تطيب نفس الرسول صلى الله عليه وسلم ويدل على بشاعة المطلب في الوقت معا[3]

[1] سورة النساء الآية 153.
[2] الزمخشري الكشاف 618/1.
[3] إبن الحاجب : الكافية في النحو 128/3 /2 ينظر السيوطي في صمع الصوامع 79/1.

فمن السابق نتوصل إلى أن الإجمال يأتي في اللفظ النكرة إذا كان في سياق إثبات شريطة ان لا يدل على التجزؤ أو ماهية شائعة في جنسها وإلا كان مطلقا ،وما يمكن رصده من الآيات التي ورد فيها الإجمال بالنكرة كما سلف أن هذه النكرة غالبا ما تأتي مسؤولا عنها في النص ،وهذا يعزز من دلالاتها على الإجمال ،لأنه يسأل إلا عما هو مجهول له حاجة إلى بيان.

المطلب الثاني :دلالة الإجمال في (المعرفة): بـ(الـ)

يرى السيوطي أن الألف واللام دلالتين فهي عنده (عهدية وجنسية) على حين كان غيره من النحاة أعمق نظرا في تصنيف معاني (ال) إذ نجدها عند إبن هشام على ثلاثة أقسام ،وذلك أنها إما (التعريف العصد ،أو لتعريف الجنس ،أو للاستفراق[1] والأظهر أن هذا التقسيم لابن هشام يقوم على أساس نوع الدلالة التي تمنحها الألف واللام اللفظة التي تتصل بها ،وعلى الرغم من أنه كان أكثر دقة في تصنيفه لدلالة (ال) فإن تقسيمه هذا لا يخلو من نظر ،ذلك بأنه يقول أن التي لتعريف العصد فتنقسم قسمين ،لأن العصد إما ذكري ،وإما ذهني ،فالأول كقولك :
(اشتريت الفرس ثم بعت الفرس) أي بعت الفرس المذكور ،ولو قلت ثم بعت فرساَ ،لكان غير الفرس الأول[2] لأن العطف يقتضي التغاير بين المعطوفين إذا كان الأول معرفة والثاني نكرة ، فـ(الـ) الأولى في الفرس عصدية أي الفرس المقصود أما فرساَ الثانية فإنها نكرة ،والنكرة تدل على الماهية الشائعة دون معرفتها فلما كانت الأولى معرفة ،والثانية مجهولة كان المجهول غير المعروف باللزوم.

أما الثاني :كقولك (جاء القاضي) إذا كان بينك وبين مخاطبك عصد في قاض خاص وهذه الألف واللام العصدية بجزئيها تدل على البيان ،لأن المخاطب على علم بما يريد المتكلم الحديث عنه فالإبهام في هذا النوع من المعرفة.

ويقول إبن هشام: وأما لتعريف الجنس ،فكقولك (الرجل أفضل من المرأة) فإذا لم ترد به رجلا بعينه، ولا امرأة بعينها ،وإنما أردت هذا الجنس من حيث هو أفضل من الجنس من حيث هو لا يصلح أن يراد بهذا بهذا أن كل واحد من الرجال أفضل من كل واحدة من النساء ،فـ(الـ) هذه ليست جنسية فيما نحسب وإنما المقصد أن الحقيقة الرجولة هي أفضل من حقيقة الأنوثة في

[1] ابن هشام : شرح قطر الندى – مطبعة أمير – قم ط7 – د.ت ص122.
[2] ينظر السيوطي.

النساء[1] ذلك بأن قولك: اشرب الماء و اشتر اللحم وقوله تعالى « قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَن تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ »[2]

إن اللام إشارة إلى ما في ذهن المخاطب من ماهية اللحم والماء والذئب ليس بشيء لأن هذه الفائدة يقوم بها نفس الإسم المجرد من اللام فالحق أن تعريف اللام في مثله لفظي صوري لا أثر لها في واقع المجال الدلالي ،فـ(الـ) جاءت لتعريف الماهية ،وقد تنبه السيوطي على ذلك حيث قال : ويعرض في الجنسية العصور نحو: خرجت فإذا الأسد ،إذ ليس بينك وبين مخاطبك مخصوص ،يفضل أن يسمى هذا النوع من الألف واللام بـ(الـ) الماهية أو الحقيقة ولم يجد إبن هشام بداً من التصريح بذلك إذ قال : (ويعبّر عنها بالتي لبيان الماهية ،وبالتي لبيان الحقيقة) [3]

ويمكن أن يزاد ضنف آخر للألفاظ المعرفة (المبهمة) ،وهو المعرف بـ(الـ) المجمل ويكون أوغل إبهاما من سابقيه (المطلق والعام) لعدم معرفة المراد منه ،فتغدو الألف واللام فيه صورية أيضا ،لأنه في حكم اللفظ النكرة المبهم ومن ذلك قوله تعالى : « اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (6) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ (7) »[4]

فالناظر يجد أن المعرف بـ(الـ) وهي لفظة الصراط مبهمة على الرغم من تقييدها بالصفة (المستقيم) بيد أن هذه الصفة لم توضح ما المراد من هذه اللفظة المعرفة (المجملة) لذا فصّلها تعالى بقوله : « صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ».

فهي بيان للصراط المستقيم لأن « صراط الذين » بدل شيء من شيء وهما بعين واحدة وجيء بها البيان والتفصيل لما في (الصراط) من إجمال ،ونحلظ أنه بين تعالى «الصراط المستقيم» بنفسه ،لأنه صراط يكون مبدأه من الله ومنتهاه إليه كيف يمكن وصفه وبأي وجه يتحقق نعته ؟ فلا يقدر المخلوق أن يصفه بما وصفه الخالق بالقول الجامع« صراط الذين أنعمت عليهم » لأن الصراط الذي من شأنه ذلك هو الذي سأل الهداية إليه وهو بمعنى الغاية لعباده أي أن العبد يسأل ربه أن تقع عبادته الخالصة في هذا الصراط المستقيم.[5]

[1] ينظر ابن هشام : شرح قطر الندى 94.
[2] سورة يوسف : الآية 13
[3] ينظر ابن الحاجب : الكافية في النحو 129/2
[4] سورة الفاتحة الآية 6-7.
[5] أبو حيان الأندلسي : البحر المحيط – مطبعة دار الكتب العلمية – بيروت – ط1-2001 ص417.

المطلب الثالث: دلالة الإجمال في الاستثناء:

عرف النحاة الاستثناء على أنه إخراج ما كان داخلا تحت المستثنى منه ب(إلا) أو إحدى أخواتها لفائدة.

وعرفه ابن يعيش بأنه (صرف اللفظ عن عمومه بإخراج المستثني منه أن يتناول الأول) حكم المستثنى منه ،ويبدو أن علماء الأصول يتفقون مع النحاة في مفهوم الاستثناء ويعدون الاستثناء تخصيصا للعام فهم لديهم أداء بيان تعمل على إخراج البعض المقصود من الجمع المستغرق بالشمول[1]، غير أن الأصوليين كانوا أكثر حنكة في تحديد الاستثناء إذا اشترطوا له شروط يجب أن تتوافر فيه حتى يعد صحيحا منها : الاتصال الزمني ،والاتصال النوعي ،ومقدار المستثنى ،حتى دعا ذلك لأن يعترف لهم أحد النحاة بقوله في مبحث الاستثناء ،بأنهم قد أفاضوا القول فيه في تحديد الدلالة التي هي نطاق عملهم الأصل ،ولكن قد يتطرق الإجمال إلى المستثنى فيكون مبهما ،وهذا ما سنخوض في توضيحه بالآتي[2]

إذا كان المستثنى يتحقق بإخراجه من حكم العام قبله فهذا يعني بأنه مخصّص محدد ،وحينما يقع عليه التخصيص يعد بيّناً واضحاً إلى كونه مبهماً لا يسع المتلقي الوقوف على معنى له على وجه التحديد والتفصيل ،من هنا يكون الاستثناء مجهولا لا يعرف المراد منه فيحتاج التخصيص إلى بيان يزيل إجماله ، ومن ذلك قوله تعالى « حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلاَّ مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُواْ بِالأَزْلاَمِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمْ فَلاَ تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ »[3]

فنجد أن ما قبل الاستثناء يحمل دلالة العموم فكل بهيمة من الأنعام في مباحة الأكل غير أن الله تعالى خصص بالمستثنى (المخصص) عن بيان المراد إخراجه من عموم حلية الأكل ،فيقال

[1] السمرقندي ميزان الأصول – مطبعة الخلود –ط1 سنة 1987.
[2] ينظر السيوطي : صمع الصوامع 227/1.
[3] سورة المائدة الآية 03.

تأسيسا على هذا أن من التخصيص المبيّن ما يرد مجملا فتنتقي فيه وظيفة الإيضاح لما هو خارج عن حكم العام ،فيحتاج إلى ما يفصّله.

ذلك بأن الاستثناء قرر من حيث وظيفة أداته (إلا) أن ثمة مستثنى بيد أن هذا المستثنى مجمل مبهم فصّله تعالى ينص من فصل في قوله تعالى« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَوْفُواْ بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الأَنْعَامِ إِلاَّ مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ »[1]

ونلحظ أن هذا التفصيل المجمل (المستثنى) روعة في الصياغة وجمالية في أداء المعنى ،إذ قال (حرمت عليكم الميتة) وهي عبارة إخبارية المبنى إنشائية المعنى فأما إخباريتها فتتحقق بعدم وجود أي أداة من أدوات الإنشاء فيها ،وأما انشائيتها فهي تكمن في دلالاتها على النهي بمعنى (لا تأكلوا الميتة) ويعضد ذلك أمور منها:

أ/- استعمل فعل التحريم مضّعفاً فقال (حُرّمت) الدلالة على شدة المنع.

ب/- استعمل (على) مع الفعل وهي تدل على الاستعلاء والتسلط على الغير فتقول لمن اخر عنك دَينك (لي عليك ألف درهم) بمعنى (أدِ لي ما عليك) أو (لا تؤخر ديني).

ت/- أن صياغة معنى الإنشاء بالإخبار هو للدلالة على أن هذا التحريم هو حاصل منذ زمن بعيد من الله تعالى لأن الفطرة الإنسانية ،تأباه أساسا والأمر الآخر هو الإيحاء بأن هذا التحريم قد وقع ونفذ من الناس وهو الآن في صدد الإخبار عنه حتى وإن يم ينفذ الأمر بعد للدلالة على ضرورة تحقيق هذا الامتناع لدى الناس فعده الله منجزا لذلك.[2]

من هذا اتصل أن الإجمال يدخل الاستثناء من ناحية المستثنى فيغدو الأخير مبهما فيخرج من وظيفته التي هي التخصيص ،ولا يدخل الإجمال كما قد يظن البعض في تردد عودة المستثنى على أي من الجمل المتعاطفة قبل الاستثناء ،لأن هناك قاعدة تحكم تلك العودة للمستثنى فيتحدد العائد ،وبذلك ينتفي الإجمال في عودة المستثنى على المستثنى منه.

رابعا دلالة الإجمال في (أفعل) التفضيل:

[1] سورة المائدة الآية 01.
[2] ينظر السيوطي : صمع الصوامع 227/1.

من الوسائل اللغوية التي تدل على الإجمال هي صيغة (أفعل) التفضيل ،فالصيغة هذه قد ترد في التعبير القرآني مجملة تحمل سمة الإبهام والغموض في معناها ،فلا يمسك منها المضمون الدلالي الذي وقع التفاضل فيه بهذه البنية التي انتقتها العربية للاضطلاع بمهمة المفاضلة والتي لا يمكن الجنوح إلى أي صيغة غيرها لتحقيق الغرض نفسه ،ويدخل الإجماع في صيغة (أفعل) حينما ترد مفسّرة بالتمييز بعدها كقولك : (على أكثر الناس علما) و (محمد أمسك الرجال مبدأ) و(خالد أثبت القوم موقفا) فنجد أن أكثر ،أمسك ،أثبت قد جمل المراد منها في بادئ الأمر إذا ابهمت على المتلقي صيغة (أفعل)[1]

إن السائد لدى النحات أن (أفعل) التفضيل ترد في اللغة على ثلاث هيئات هي :

(أفعل من) كقوله تعالى « النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ ۗ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَن تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُم مَّعْرُوفًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا (6) »

(أفعل المضافة إلى ما بعدها) كقوله تعالى: « وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا ۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ »

و(الأفضل) [2] وصيغة التفضيل هذه الهيأة تدل على الإطلاق لأنها مفرغة من المقارنة أو الموازنة المحدودة كقولنا زيدُ الأفضل.

ويبدو أن دلالة الإجمال ترافق صيغة (أفعل) في هيأتها الثلاث شريطة أن تلتمس الهيأة افي الخطاب الحاجة إلى تمييز يجلي دلالاتها بدقة فيظهرها واضحة للمتلقي ولإثبات هذا القول للنظر إلى قوله تعالى: «أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ»[3]

فالمتأمل يجد أن صيغة أحسن قد وردت تفضيلا بيد أن المعنى الذي وقع عليه الحسن تفضيلا هو مبهم فلا يعلم المعنى الذي كان به سبحانه أحسن من غيره ،لذا جاء تعالى بقوله (حكما)

[1] الزمخشري : المفصل في علم العربية ص233-234.
[2] ابن يعيش : شرح المفصل الجزء 6 ص96.
[3] سورة المائدة : الآية 50.

تمييزا مفصّلاً لصيغة أحسن ففهم بذلك أن الحسن لله تعالى ينحصر في هذا المعنى ردا على الذين يبغون حكم الجاهلية القائم على الضلالة والميل للهوى

فقوله : « أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ » استفهام توبيخي [1] لمن يريد الضلالة في الحكم فيتبع حكم الجاهلية وقد قدم المفعول (حكما) وأخّر الفعل لزيادة التنصيص والتأكيد على هذا الحكم ،لأنه مدار الرفض في الآية ولقد وقع عليه الرفض والرد بـ(أحسن) المجملة و(حكما) المفصلة ،إذ دل الإجمال في (أحسن) على أنه سبحانه له الحسن في شيء ولكن هذا الشيء قد أخفاه على السامع إبتداء لتَتُّوقَ نفسه إليه تحسبا وترقبا فيعظم بهذه الحيثية الإبهامية في نفس المتلقي ،ليردفه بالتمييز (حكما) فيكون تفصيلا يشفي به شوق النفس ،فيكون المعنى المفصَّل بهذه الطريقة أثبت في النفس وأقوى تأثيرا من ذكره مفصّلاً ابتداء.

ونظير هذا قوله تعالى: « وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا »[2]

فنلحظ أن (أكثر) اسم تفضيل أضيف إلى شيء ولو اكتفى بهذا وقيل (وكان الإنسان أكثر شيء) فحسب ،لما فهم معنى الأكثرية للإنسان على وجه البيان ،لأن المعنى المراد التنصيص عليه مُفتقد في النص فيتسرب الإجمال لهذه العلة إلى (أفعل) المضافة في الآية ، بيد أن الله تعالى لم يشأ أن يبقى الإبهام مهيمنا على معنى الأكثرية المفضّل بها فجاء بالتمييز (جدلا) لتفصيل دلالة الأكثرية وإذا كانت الصيغة (أكثر) مضافة إلى (شيء) فإن هذا يدل على أن الإنسان من أغزر المخلوقات جدلا سواء كان ذلك الجدل بوجه حق أم باطل ، والذي أسند دلالة تفضيله على الجميع هو لفظة (شيء) لأنها وردت نكرة تدل على كل ماهية تدخل تحت هذا العنوان ،فكان الإنسان بهذا أكثر من كل شيء جدلا ،يقول الطبطبائي : (الجدل المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة ،وأصله جدلت الحبل أي احكمت فتله .....[3] فكأن المتجادلية بفتل كل واحد الآخر عن رأيه ،وقيل الأصل في الجدل الصراع) وفي (أكثر) المجملة و (جدلا) المفصّلة دلالة واضحة

[1] الطبطبائي : الميزان – مطبعة طهران – دار الكتب الإسلامية – ط3 – سنة 1398 هـ -ص
[2] سورة الكهف : الآية 54.
[3] الطبطبائي : الميزان : ج13 ص357.

على شدة إكرامه تعالى لبني البشر ،إذ منحهم مقدرة عقلية تمكنهم من التعمق في التفكر لدراسة الآخر.

خامسا: دلالة الإجمال في الاستفهام الإنكاري:

لقد انعقد التعبير القرآني على مجموعة من الأساليب العربية لصياغة المعنى المبتغى فجاء أسلوب الشرط والقسم والاستثناء وغيرها ،ومن تلك الأساليب أسلوب الاستفهام الإنكاري ،إذ وردت في غير موضع من الخطاب القرآني ألفاظ يَسأَل عنها بعبارة (ما أدراك) استشعارا منع تعالى لإجمال هذه الألفاظ عند المتلقي إذ لا يقرُّ على معنى لها مفصّل ،ويبدو أن هذا النوع من الاستفهام الصادر منه تعالى ،لا يأتي إلا في مواطن الاستفهام والهيبة ،فكأنه تعالى يخبر رسوله صلى الله عليه وسلم بلفظة ثم يعود ليسأل عنها الرسول صلى الله عليه وسلم ،إدراكاً منه تعالى –إذا جاز لنا التعبير- بأن هذا المُستَفهم عنه لا يخطر معناه على بال أحد حتى الرسول صلى الله عليه وسلم ،المخاطب نفسه ،فيأتي سبحانه بهذا اللفظ مُستفْهماً عنه ،لأنه مجمل الدلالة للمتلقي ،ثم يفصِّله حتى ينأى بالإبهام عنه فتنكشف للمخاطب الدلالة المراد منه تعالى.

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى «فلا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ (11) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ (12) فَكُّ رَقَبَةٍ (13) أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ (14) يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ (15) أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ (16)»[1] فنجد أن لفظة (العقبة) قَدْ جَاءَتْ مُسْتَفهماً عَنْهاَ بِقَوْلِهِ (وما أدراك) فدخلها الإجمال بدلالة الاستفهام ،لتفخيم شَأْنِهاَ وتعظيمه[2] ،فأبهم هذه (العقبة) إجمالا لدى المتلقي لتمثل لديه شيئا مجهولا يحتار فيه ،وبعد الاستفهام عن المجمل فصّله في «ذكر بيان العقبة من فك رقبة والإطعام في يوم ذي مسبغة» وفك الرقبة «هو تخليصها من أسار الرق» ولقد « قدم فك الرقبة وابتدأ به إعمال عناية الدين بفك الرقاب»[3] سعيا للقضاء على العبودية نهائيا ليشعر المرء بكرامته التي منحها الله تعالى له ،بعدها ذكر الإطعام في يوم ذي مسبغة وقيد بالصفة (مسبغة) حتى تتناسب مع لفظة (العقبة) فكان هذا الإطعام هو جزء من تفصيل لفظة العقبة ويكون الإطعام لـ(يتيما ذا مقربة أو فقيرا لصق بالتراب لشدة فقره) أي يعطي لمن هو في أمس الحاجة للطعام فيكون في ذلك شرطا آخر

[1] سورة البلد : الآية -11-16
[2] الطبطبائي : الميزان : ج20 ص422.
[3] المرجع نفسه ص422.

للإطعام ألا هو تحري اليتيم القريب أو الفقير المدقع في فقره فتحققت من هذا دلالة (العقبة) المجملة تفصيلا وبياناً.

و نظير ما تقدم قوله تعالى بعد حديثه عن المطففين «كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ (7) وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ (8) كِتَابٌ مَّرْقُومٌ (9)»[1] نقف على (سجين) التي انطوت دلالتها على الإجمال بفعل الاستفهام بـ(ما أدراك) ،فقد ذكر (سجين) ثم قال على وجه التعظيم والتفخيم (وما أدراك ما سجين) أي تفصيله لا تَعْلمُهُ وإن عَلِمْتَهُ مجملاً مبهماً [2] ثم (فسّر سجينا بكتاب مرقوم) فقال مفسّرا لذلك (كتاب مرقوم) فالرقم طبع الخط بما فيه علامة لأمر لا يزول ولا يتبدل ،لأن الرقم الخط الغليظ الجلي أي هو كتاب بيّن الكتابة بحيث كل من نظر إليه يطلع على ما فيه بلا إمعان) [3] أو معاودة نظر فهو مشتمل على علامة دالة على شقاوة صاحبه وكونه من أصحاب النار فاختير له لفظ الإجمال ثم التفصيل الخط الثابت الواضح كي تتناسب دلالة التعظيم هذه مع كبر عمل (الفجار) ويستند ذلك بناء لفظة (الفجار) على صيغة المبالغة المضعفة للتعبير عن شدة الإساءة في عملهم وصفتهم معا.

من هنا نصل إلى أن ثمة ألفاظا وردت في التعبير القرآني مُستَفهَماً عنها ب(ما أدراك) تفيد دلالة الإجمال وإن إجمالها متأتٍ لعله التفخيم والتعظيم للموقف المتحدث عنه ،ذلك بأنها غالبا ما تأتي في الآيات التي تتحدث عن أهوال يوم القيامة وما يجري فيها ،فكان استعمال الألفاظ في هذا الموضع بدلالة الإجمال ثم التفصيل أوفق من استعمالها بدلالة التفصيل ابتداء.

سادسا: دلالة الإجمال في الأفعال:

الفعل أصل من أصول مباني الكلام المعروفة وهي: الإسم والفعل والحرف ،وهو قسيم الإسم في تأليف الجملة الفعلية مسنداً ،فهو ركن أساسي من أركان الجملة العربية ،بل في معظم لفات الشر.

والجملة الفعلية واحدة من أنواع الجمل في الكلام ،ويستدل عليها بأن (يكون فيها المسند فعلا).

[1] سورة المطففين : الآية : 7-9.
[2] الزمخشري : الكشاف : ج4 ص722.
[3] المصدر نفسه ص722.

والفعل كما عرفه ابن السراج« الفعل ما دل على معنى وزمان ،وذلك الزمان إما ماضٍ وإما حاضر وإما مستقبل فنلحظ أن الزمن شرط لازم في الفعل في جميع حالاته كما حدث والزمن واضحين فيه عُدَّ بينا مفصَّلا من حيث الحدث ،ومقيداً محدوداً من حيث الزمن وهو السائد وروده في اللغة ،غير أن الإبهام قد يجري على الفعل أيضا كما يسري على الإسم ،فإن كان في الزمن أصبح الفعل مبهماً (مطلقاً) ،وإن كان في الحدث عد الفعل مبهما (مجملاً) من هنا نقول أن الإجمال في الأفعال إنما يدخل من جهة الحدث فحسب دون قسيمه الآخر (الزمن).

ومن أمثلة ذلك في الفعل الماضي قوله تعالى: «وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ ۚ وَإِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا»[1]

فنجد أن الفعل الماضي (وصينا) فعل مجمل الحدث فمضمون الوصية مجهولة أما الموصّى فواضح وهم اليهود والنصارى وغيرهم ،وقوله (إياكم) أي وصيناكم بها أيها المسلمون في كتابكم[2] القرآن الكريم أيضا ،ولو اكتفى بذكر الفعل (وصينا) دون إيضاح لدلالة إجماله لبقي حدث الوصية مبهما ،ويبدو أن عظم هذه الوصية مضمونا وهي التقوى هو الذي دعا لإبهامها في الفعل أولا ثم تفصيلا ثانيا.

أما ما ورد من فعل مضارع مجمل فمنه قوله تعالى: «وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ»[3]. فإن الفعل المضارع (يختصمون) مبهم الحدث ،فلا يعرف ما طبيعة هذا الاختصام ومضمونية بين الفريقين ،ففصَّل الله تعالى إجمال حدث فعل الاختصام بقوله:« قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِ ۚ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ»[4] فهذه الآية كشفت مضمون الاختصام وهو التساؤل الاستهزائي من القوم المستكبرين على الحق ،والرد من القوم المؤمنين المستضعفين الذين اتبعوا صالحا (عليه السلام).

[1] سورة النساء : الآية -131.
[2] الحائري : مقتضيات الدرر – مطبعة دار الكتب الإسلامية – طهران ،1337.
[3] سورة النمل : الآية 45.
[4] سورة الأعراف : الآية 75.

أما فعل الأمر فقد ورد مجمل الحدث في قوله تعالى :« قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ (49) وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (50)»[1] فترى أن الفعل (تقاسموا) هو فعل أمر حيث أمر أحدهم الآخر بأن يقتلوا نبي الله صالحاً عليه السلام ويقولون لمن ينادي بدمه ممن تبعه وآمن به ،لا نعرف عن مقتله شيئا ،ولقد اختلف المفسرون في الفعل (تقاسموا) في هذه الآية بين كونه فعلا ماضيا أو أنه فعل أمر [2] وتقضي قرينة السياق بأن (تقاسموا) فعل أمر ،وليس فعلا ماضيا كما حسب بعض المفسّرين.

نقول أن الفعل (تقاسموا) فعل أمر مجمل الحدث فلا يُعرف بما تقاسموا أو على ماذا؟

لذلك فصّل سبحانه إجمال فعل التقاسم في الآية التي بعدها.

ممّا تقدم نصل إلى أن الفعل قد يأتي مجملا في مضمونه في موضع ويفصَّل في موضع آخر ،ولا يقتصر الإجمال في الأفعال على قسم منها ،بل يشمل جميع أصناف الفعل العربي (ماض،مضارع وأمر) دون استثناء.

[1] سورة النمل : الآية 49-50.
[2] الزمخشري : الكشاف ج3 ص376.

الفصل الثاني: التفصيل في النص القرآني.

إن موضوع التفصيل في علم أصول الفقه ذو صلة بالمصدرين الأساسيين في التشريع الإسلامي الكتاب والسنة ،حيث أن فهمها متوقف على معرفة الأساليب العربية ودلالات الألفاظ والتراكيب وإدراك تطبيقها على الخطاب الشرعي التي هي مكونات موضوع التفصيل ،كما تضافرت جهود علماء أصول الفقه على دراسة ومناقشته استشعارًا لأهميته.

المبحث الأول : مفهوم التفصيل في اللغة والاصطلاح.

إن أسلوب التفصيل كما نعرفه هو البيان والإفصاح لإزالة الغموض والإبهام واستفادة المعاني وهو وسيلة فهم مجال تتفاوت فيه العقول والأفهام والألسن.

المطلب الأول : مفهوم التفصيل في المعجمات اللغوية.

نسعى في هذا القسم من الدراسة إلى الوقوف عند مختلف مظاهر لفظة التفصيل من خلال مجموعة من المعاجم ،فقد جاء في معجم العين تحت مادة (فصل) ، يقول الخليل : (الفصل : البون بين الشيئين ، والفصلُ من الجسدِ : موضع المَفضِل).

فالفصل هو الفرق بين الشيئين ،كما قد أشار الخليل إلى أنه ((المُفصِّل : اللسان)) فكأن استشعر بأن اللسان هو أداة الإفصاح عن المبهمات والأمور الأخرى التي يسعى المرء للإبانة والإعراب عنها للمتلقي حتى يفهمها ويميزها الأخير ،لأن ((اللسان به تفصَّل الأمور وتميّز))[1]

ومعنى ((الفصيلة فخذ الرجل من قومه الذي هو منهم)) ،لأن ((فصيلة الرجل : رهطه الأدنون ،يقال : جاؤوا بفصيلتهم أي بأجمعهم)) فكأن (الفصيلة) تميّز الرجل بالإنتماء إليها من غيرها فيكون معروفا بأنه من فصيلة فلان ،لأن الفصيلة تعني العشيرة [2] و(الفصيل) حائط دون سور المدينة والحصن.

[1] الفراهيدي : العين :ج7 ص126.
[2] الجوهري : الصحاح : ج5 ص179.

((فصلت الشيء فانفصل أي قطعته فانقطع ،وفصل من الناحية أي خرج وفصلتُ الرضيع عن أمه فصالا ،وافتصلته إذا فطمته وفرقته عن أمه)) ،ولهذا سمي القضاء فصلا لأنه يُفرِّق فيه بين الحق والباطل.

مما تقدم نصل إلى أن أرباب المعجم العربي قد بيّنوا لنا مجموعة من المعاني للتفصيل تتمحور على دلالات (التفريق) و(الخروج) و (القطع) و(التمييز) و(اللسان).

أولًا : مفهوم التفصيل عند الأصوليين.

لقد عرّف أبو بكر الصيرفي التفصيل فقال «هو إخراج الشيء من حيز الإشكال إلى حيز الوضوح والتجلي » لأن كل ما كان إيضاحًا لمعنى وإظهارًا له فهو بيان وتفصيل له.

وممن عرّف التفصيل أو بكر الرازي الشهير بالحصاص فقال « التفصيل إظهار المعنى وإيضاحه للمخاطب منفصلا مما يلتبس به ويتشبه من أجله» فقد سمي إظهار المعنى وإيضاحه بيانًا لانفصاله عما يلتبس به من المعاني فيشكل من أجله ،كما سمي كل ما يوصل إلى علم الاجتهاد وغالب الظن بيانا في الشريعة لأن الله تعالى أمر به ونص على اعتباره[1]

واعتبار التفصيل بمعنى البيان والإظهار هو ما جرى عليه أكثر علماء الأصول من الحنفية والشافعية ،قال فخر الإسلام البزدوي الذي قرر ذلك المراد به أي التفصيل في هذا الباب عندنا الإظهار دون الظهور فالإظهار يكون من المبين وهو الرسول عليه الصلاة والسلام وأما الظهور فهو ما يقع من علم عند المبين له وهو أثر الدليل ومتعلقه ،ومن علماء الأصول من أثر تسمية (المفصل) بـ (المبين) يقول السبكي : «المبين هو الواضح يغيره وهو ما يتوقف فهم المعنى منه بانضمام غيره إليه وذلك الغير أي الدليل الذي حصل به البيان يسمى مبيِّنا بكسر الياء » من هنا يكون (المفصل) المبين هو الدليل المضموني المجمل فالمفصل هو ما يستدل به على معنى المجمل فكان المبين نقيض المجمل فهو متضح الدلالة سواءً كان بنفسه نحو قوله تعالى : « جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَاماً لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلائِدَ ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ »[2]

[1] أبو بكر الرازي : أصول الحصاص : ار الكتب القومية – القاهرة – ط1 ص229 .
[2] سورة المائدة الآية 97.

أو بواسطة الغير ويسمى ذلك الغير مبينًا فكأن الكلام يأتي لبيان المجمل بعد مبينًا مفضلًا باسم الفاعل من حيث تبيين المجمل ،ومبينًا مفصلا باسم المفعول من حيث أن المتكلم هوالذي أوقع فيه البيان فهو مبينا فـ « المبين إسم لما يكون معناه واضحا وغير مشتبه » ولقد أدرك الأصوليون ذلك بقولهم «المبين» يطلق على المستغني من البيان كالمفصل هو مستغني عن البيان لأنه بيان بنفسه فهو مبين لذلك ،ويمكن أن يطلق (على ما ورد عليه البيان) كالمجمل لأنه تبين بالمفصل فهو مبين.

مما تقدم نصل إلى أن الأصوليين قد اهتموا بمفهوم (التفصيل) و(المفصل) ومفهوم المفصل عندهم هو ما ظهر المراد المتكلم به وهو قطعي الدلالة في معناه يرد لإزالة شبه المجمل غير أن ما يؤخذ عليهم أنهم إصطلحوا عليه بـ (المفسر) وهو مصطلح أوسع من المفصل كما أوضحناه سابقا ،وتارة يسمونه بـ (المبين) وذلك من حيث أن المتكلم هو الذي أوقع فيه البيان ،فالخلاف لفظي والمضمون واحد.[1]

ثانيًا : مفهوم التفصيل عند المفسرين

لقد كانت للمفسرين مقولات في مفهوم التفصيل للمتأتي أن يرصدها من حنايا تفسيرهم للنصوص القرآنية ،لعلّها تضيف لنا معنى يتكامل فيه المفهوم فالتفصيل عند الطبري «هو تمييز المعاني بعضها من بعض بالبيان عما فيها » ،فكأن استعماله للفظة التمييز توحي باشتباك المعاني ،واشتباهها في المجمل إلى الحد الذي احتيج فيه إلى ما يميزها ولا تحدث عملية التمييز (التفصيل) إلا بالبيان للمعنى المبتغى من بين سائر المعاني المحتملة ،فكانت غاية التفصيل هو (البيان) لإقصاء اشتراك المعاني في الخطاب وتقترب رؤية الطوسي من الطبري لمفهوم (التفصيل) إذ يقول : [2] (التفصيل تبيين المعاني بما ينفي التخليط المعمي للمعنى وينفي أيضا التداخل الذي يوجب نقصان البيان عن المراد) ،فيكون التفصيل تأسيسا على مقولة الطوسي هو تخليص المعاني من المجمل الذي تداخلت فيه احتمالات تلك المعاني ،مما آل إلى إبهامه ونقصان البيان فيه ،ولقد شاطر الطوسي في فهمه للتفصيل مجموعة كبيرة من علماء تفسير

[1] فخر الإسلام البزدوي – أصول البزدوي – طبع دار الكتاب العربي – بيروت – ج3 سنة 1394 هـ ص104
[2] الطبري : جامع البيان في تأويل القرآن – دمشق – سوريا – سنة 1964 – ص180.

النص القرآني كالزمخشري والطبرسي والطبطبائي وغيرهم فالتفصيل « هو تمييز المعاني على وجه يزول عليه اللبس المبهم في اللفظ المجمل ».[1]

وحد الراغب الأصفهاني (المفصّل) على أنه « ما يشرح به المجمل والمبهم من الكلام ».

وهذا حد مقتضب غير مفصّل فلو اقتصر على قوله (ما يشرح به المجمل) فحسب لكان أوفق المراد من عطفه على (المجمل) بقوله : والمبهم ذلك من بأن المبهم يشتمل على جملة من الألفاظ الغامضة الدلالة التي ترد في الخطاب من غير المجمل فيكون التفصيل قابلا بهذا لأن يفسر كل أنواع اللفظ المبهم والحال ليس كذلك لأنه مختص ببيان المجمل فحسب.[2]

و عرّف ابن عطية الأندلسي التفصيل بقوله :« التفصيل البيان بأن تذكر فصول ما بين الأشياء وتزال أشباهها حق يتميز الصواب » وهو المعنى المراد بالتفصيل من الشُبَه العارضة فيه من الإبهام الذي في المجمل فيكون التفصيل عنده هو بيان المعنى عن طريق إزالة ما يشابهه من المعاني لتخليصه من شبهة اشتباه ذلك المعاني في اللفظ المجمل ،و امسك على ابن عطية الأندلسي في حدة للتفصيل قوله : « تزال أشباهها » لأن هذا يدل على معاني المجمل متشابهة ،و إن التفصيل يعمل على إبعاد المتشابهات والإبقاء على واحدة منها (الدلالة المقصودة) من المجمل ،على حين أن المعهود في المجمل أن تكون معانيه متباينة ،فكان حريا بابن عطية الأندلسي أن يعدل عبارته فيقول : « وتُزال اشتباهاتها أو شبهاتها»[3]

ليكون ذلك الصف بمعنى المفهوم من مقولته ،على حين يرى الثعالبي أن التفصيل (إذ استعمل في المعاني فيراد أنه فرق بينهما وأزال اشتراكها وإشكالها فيجيء من ذلك بيانها) وبهذا النص نجد الثعالبي أكثر دقة في تعبيره عن معنى التفصيل من ابن عطية الأندلسي وذلكم باستعماله عبارة «وأزال اشتراكها وإشكالها » فهي تدل على أن المجمل تشترك معانيه إلى حد تحقق الإشكال فيها ،فيعتذر بذلك الوقوف على بيان معناه المقصود فيأتي التفصيل لترشيح الإشكال وتصفية الاشتراك المعنوي في المجمل فيظهر بيانه ،ويقترب ما رآه الرازي في مفهوم

[1] الطوسي : التبيان – ج4- ص418.
[2] الراغب الأصفهاني : المفردات في غريب القرآن : 1/ص29.
[3] إبن عطية الأندلسي : المحرر الوجيزي في تفسير القرآن – مطبعة دار الكتب العلمية – بيروت – ط1 سنة 1993 – ص69.

(التفصيل) مما قاله الثعالبي فيه ،لأن التفصيل عند الرازي هو إفراد الشيء وحده حتى لا يكون مختلطا بغيره ،لتستكمل بذلك الفائدة من ذلك بأن الفائدة البيانية من المجمل لا تُستَحصل إلا بالتفصيل وإزالة الإشكال منه ، فمن مقولات عموما عما يمكن القول أن التسالم لديهم يكاد يصل إلى شبه الإجماع بأن مفهوم الأَصل للتفصيل هو البيان عما في الكلام من معنى.[1]

و مما سبق نستخلص أن علماء التفسير قد قدموا لنا مفهومًا يمكن أن يعد متكاملا فيما لو جمعنا مقولاتهم ورصفناها بعض لِبعض ،فالتفصيل لديهم هو ما يرد لإزالة اختلاط المعاني المبهمة في الجمل لتبيينها للمتلقي ، أما المفصل هو ما نميز به المعاني على وجه التحديد فيخرج بالمجمل من نطاقه المبهم لينزله منزلة البيان الواضح.

ثالثًا : مفهوم التفصيل عند البلاغيين

لقد كان للبلاغيين أثر واضح ونصيب وافر له إسهاماته في توضيح مفهوم التفصيل الاصطلاحي وكشفه ،بيد أنهم كثيرًا ما عرضوا للمفهوم تحت مصطلح آخر ،ومن ذلك (الإطناب) فقد عرفوا التفصيل تحت هذا العنوان فهو عندهم « الإيضاح بعد الإبهام ليرى المعنى فيه صورتين مختلفتين أو ليتمكن في النفس فضل تمكن » من هنا يأتي التفصيل لتقرير المعنى في ذهن السامع بذكره مرتين ،مرة على سبيل الإبهام والإجمال ،ومرة على سبيل التوضيح والتفصيل فنجد أن مغزى التفصيل عند علماء البلاغة هو رؤية المعنى بهيأتين متباينتين ،الأولى هيأة الإجمال المبهم حيث يكون المعنى فيه مكثفًا غامضا كثير الوجوه عميق الغور بعيدًا عن نيل الوضوح ، أما الثانية فهي التي يبدو فيها المعنى جليًا باديا لكل ناظر يسير الأخذ والفهم بفعل (المفصّل) والأظهر أن عملية الانتقال من الغموض إلى الوضوح في بنية الخطاب تحقق لذة شديدة للمتلقي لـ(أن الشيء إذا حصل إكمال العلم به دفعة لم يتقدم حصول اللذة به ألم ،وإذا حصل الشعور به من وجه دون وجه تشوقت النفس إلى العلم بالمجهول فيحصل لها بسبب المعلوم لذة .... واللذة عقيب آلام أقوى من اللذة التي لم يتقدمها ألم)[2].

ومن البلاغيين من ذكر (التفصيل) تحت مصطلح آخر أيضا وهو الطيبي ،إذ ذكره تحت مصطلح (التفسير الخفي) يقول : « وهو أن ترى في الكلام لبسًا فتعمد إلى ما يوضحه ».

[1] الرازي : التفسير الكبير – ج18 ص 143.
[2] القزويني : الإيضاح في علوم البلاغة – مطبعة إحياء العلوم – بيروت لبنان – ط4- سنة 1998 – ص111.

ويقصد (باللبس) هنا (الإبهام) وبـ(التوضيح) التفصيل لأنه يتولى عملية كشف الإبهام المعنوي الذي في المجمل ويبدوا أنه قد اعترف عرضا بأنه (تفصيل) وذلك في تعقيبه بعد التعريف بمقولته « وفائدة هذه الطريقة تفخيم أمر المبهم وإعظامه للإجمال والتفصيل »

ولكن يؤخذ عليه تسميته للتفصيل بـ (التفسير الخفي) ، لأن التفصيل هو تفسير جلي واضح لما أبهم في المجمل وليس خفيًا في الخطاب سواء كان متصلًا أم منفصلًا.

على حين أن من علماء البلاغة من تحدث عن مفهوم (التفصيل) تحت مصطلح (الإيضاح) وذلك هو العلوي ،إذ يقول : « الإيضاح عبارة عن يرى في كلامك لبسًا يكون موجهًا ، أو خفي الحكم[1] ،فتردفه بكلام يوضّح توجيهه ويظهر المراد ولقد سبق الحديث على أن التوجيه عند البلاغيين يقابل مصطلح (الإجمال) لأنه الكلام الذي يحتمل معنيين أو أكثر على حد سواء ،وإذا كان الإيضاح يعمل على بيان (التوجيه) فإن (الإيضاح) بهذا يعد مقابلا لمصطلح (التفصيل).

ولقد أثر عن العلوي تسميته للمجمل بـ (الإبهام) وهو الآن يطلق على (التفصيل) مصطلح (الإيضاح) فكان بهذا يسمى المفاهيم بغاياتها ،فقد أطلق على المجمل مصطلح (الإبهام) والإجمال غايته الإبهام الدلالي في الخطاب ،وبالمقابل أصطلح على التفصيل بـ (الإيضاح) والتفصيل غايته إيضاح الدلالة المبهمة في الخطاب ،فكأنه استشعر أن المفهوم مرتبط بغايته ،فاصطلح على المفهوم بلفظ الغاية منه ،ايمانا منه بأن المفاهيم مرهونة بغاياتها[2] وكما ذكر البلاغيون مفهوم (التفصيل) بمصطلح آخلا فقد ذكروه بالمصطلح نفسه وذلك في صدد حديثهم عن تقسيم التشبيه بحكم وجه الشبه ،إذ قسموه على (تشبيه مجمل) و(تشبيه مفصّل) والمفصَّل هو ما ذكر وجهه وذلك كقولنا : (طبع فريد كالنسيم رقة ،ويده كالبحر جودا ،وكلامه كالدر حسنًا) فلفظة (رقة) و (جودا) و (حسنًا) مفصّلان لوجه الشبه في العبارات المذكورة ،أما التشبيه المجمل فهو ما لم يذكر فيه وجه الشبه ،فكانت تسميتهم للتشبيه الذي ذكر فيه وجه الشبه مفصَّلا تعود لظهور وجه الشبه فيه وبيانه ،لأن خفاءه في بنية الخطاب تورث الإبهام والإجمال في الغالب.[3]

[1] التفتازاني : مختصر المعاني – ص168.
[2] العلوي : الطراز – ج3 – ص101.
[3] الهاشمي : جواهر البلاغة – مطبعة دار الكتب العلمية – بيروت لبنان – سنة 2001 – ص166.

ومما سبق نقول أن مفهوم التفصيل عند البلاغيين هو عملية المجيء بما يزيل إبهام للمجمل بغاية إحداث اللذة من جهة المتلقي وتحقيق التفخيم في الخطاب من جهة المتكلم ،وإن المفصّل هو وجه الشبه الظاهر في بناء التشبيه التركيبي في الكلام لأنه مفهوم للمتلقي ،فكان مفهوم (التفصيل) و(المفصّل) لدى البلاغيين يعني الوضوح والبيان.

رابعًا : مفهوم التفصيل في اصطلاح النحويين

لقد كان للنحويين أثر واضح ونصيب وافر له اسهاماته في توضيح مفهوم التفصيل الاصطلاحي وكشفه والمتأمل يجد أن النحاة قد ذكروا مفهومه تحت مصطلح (التمييز) و(البدل) فالتمييز يعمل على « رفع الإبهام في جملة أو مفرد بالنص على أحد محتملاته »[1] وهذا هو بالضبط معنى التفصيل وما يقوم به من مهمة في الخطاب ويتضح من هذا الكلام أن التفصيل يؤدي وظيفة البيان لنوعين من الإجمال هما (إجمال مفرد) و(إجمال نسبة).

وما يمكن أن يندرج مفصّلًا لإجمال نسبة أيضًا (البدل) وتحديدا منه (بدل الاشتمال) فهو « بدل شيء من شيء يشتمل عامله على معناها بطريقة الإجمال كأعجبني زيد عمله أو حسنه أو كلامه ».[2] فهذه مفصّلات للنسبة التي اشتملت على جملة محتملات غير معينة ،وبهذا يبدو أن الأداء المضموني لكل من (التمييز) و(البدل).

في الخطاب اللغوي هو الذي دفع الكوفيين إلى تسمية كل منهما بالتفسير والمُفسِّر ،لأنهما يعملان على بيان إبْهام الإجمال اللذان يلحقان به سواء كان ذلك الإجمال مفرد أو جملة.

اقتنع النحاة بأن التفصيل لا يكون في المفردة فحسب ، وإنما يتعداها إلى نطاق (التركيب) الجملة ،ولكنهم لم يطلقوا عليها مصطلح (الجملة التفصيلية) وإنما اصطلحوا عليها بالجملة التفسيرية بقول الأزهري : « الجملة التفسيرية هي الكاشفة لحقيقة ما تليه من مفرد أو مركب ،وليست عمدة »

[1] الزمخشري : المفصل في علم العربية ص65.
[2] الصبان : حاشية الصبان : ج2 ص195.

و إبن هشام قسم الجملة التفصيلية على ثلاث هيآت هي :

1- مجردة من حروف التفصيل قوله تعالى :« لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ »[1]

فقوله:" لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ " تفصيل لإجمال (النجوى) من دون أن يتقدم جملة التفصيل حرف تفصيل.

2- أن تكون الجملة التفصيلية مقرونة بـ(أي) كقول الشاعر :

وترميني بالطرف أي أنتَ مذنبٌ ** وتقلينني لكنّ إيَّاكِ لا أقلي

3- أن تكون مقرونة ب(أن) كقوله تعالى : « فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ »[2].

وعلى الأزهري جملة مؤاخذات على ذلك المفهوم منها :

أنه اقتصر بالجمل التفصيلية على الفضلات بقوله (وليست عمدة) ،فأخرج بذلك الجملة المفصّلة لضمير الشأن لأنها جزء من العمدة إذ تعرب خبرًا ولا تتفق معه في هذا لأن من الجمل التفصيلية ما تقع فضلة ومنها ما تقع عمدة كالجملة التفصيلية (الخبرية) للمبتدأ (ضمير الشأن) ثم أنه من الجمل التفصيلية ما تقع عمدة برأسها وذلك في التفصيل بنص منفصل ،إذ يحدث أن تكون الجملة التفصيلية متألفة من مسند ومسند إليه قائمين برأسيها وليس فضلة ،ومن ذلك قوله تعالى « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ »[3] فنلحظ أن قوله : « حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلاَّ مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُواْ بِالأَزْلاَمِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمْ

[1] سورة الأنبياء : الآية – 03.
[2] سورة المؤمنون : الآية – 27.
[3] سورة المائدة : الآية -01.

فَلاَ تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ »[1]

مما تقدم نصل إلى أن علماء النحو قد أضاؤا لنا مفهوم التفصيل من حيث أن التفصيل لا ينحصر في إيضاح المعنى المجمل للفظ المفرد بل يتعداه إلى أداء مهمة البيان لإجمال النسة في المجمل (التراكيب) وأنهم قد اهتدوا إلى أن (التفصيل لا يكون بالمفردة فحسب كما في التمييز أو البدل وإنّما التفصيل يتحقق بالجمل أيضا.

[1] سورة المائدة : الآية -03.

الفرع الخامس : مفهوم التفصيل عند اللغويين.

لقد تطرق علماء اللغة مفهوم التفصيل صراحة في بطون كتبهم التخصصية من ذلك ما ذكره أبو هلال العسكري من حدة التفصيل بمقولته « التفصيل هو ذكر ما تضمنته الجملة على سبيل الأفراد » وبهذا يكون أبو هلال العسكري قد تمسك بالدلالة المعجمية للتفصيل وبنى عليها المفهوم الذي بين أيدينا ،فكأنه يرى التفصيل بمفهوم (التفريق) فهو عملية تفريق الأفراد الذين ضمتهم الجملة بمعناها ،وهذا لا شأن له بمعنى التفصيل الإصطلاحي الذي نحن بصدده وما يعضد كونه بني على الدلالة المعجمية للتفصيل قوله « إن التفصيل وصف آحاد الجنس وذكرهما معًا » وإذا ما قلنا بأن الآحاد هي (المعاني) التي ضمتها الجملة فإن هذا يقضي إلى القول بأنه ذكر جميع المعاني التي كانت في تلك الجملة على سبيل التفريق الذي هو التفصيل لديه و ما يؤيد هذا قوله « ولربما احتاح التفصيل إلى الشرح والبيان » فقد يحتاج تفريق الأشياء إلى شرح كل شيء ربما يداخله الإبهام فيحتاج إلى الشرح.

- على حين نجده في موضع آخر يقول « إن في التفصيل معنى البيان عن كل قسم بما يزيد عن ذكره » لذلك القسم ،إن هذا القول يمت بصلة المفهوم الاصطلاحي للتفصيل ،لأن فيه زيادة عن ذكر الشيء مبهما وبيانا له ،فنلحظ أن أبو هلال العسكري قد فهم معنى التفصيل تارة بالمعطى المعجمي له فعرّفه على وفق ذلك ،وتارة أخرى نظر إليه بالمعنى الوظيفي له ،فتباين الأمران لذلك.[1]

أما إبن فارس فقد ساوى بين التفسير والتفصيل توفقا مع ابن عباس في قوله : « وأما التفسير فإنه تفصيل ،كذا قال إبن عباس في قوله « وأحسن تفسيرًا » قال : تفصيلا) ولو أن ابن فارس قلب عبارته وقال :« وأما التفصيل فإنه تفسير» لكان أُقرب إلى التسليم والصحة من مقولته ،لأن التفسير مصطلح واسع ينفتح على أكثر من أداة للبيان كالتخصيص والتقييد والتفصيل ،فكان التفصيل من هنا وجهًا من وجوه التفسير لإبهام المجمل فيكون كل تفصيل تفسيرًا وليس كل تفسير تفصيلًا[2].

[1] أبو هلال العسكري : الفروق اللغوية ص49.
[2] إبن فارس : الصاحبي في فقه اللغة ص193.

والأظهر أن ابن فارس أراد من تعريف التفسير بالتفصيل بأن التفصيل هو البيان وأن التفسير المذكور في الآية يعني البيان ،إذا ينقل عن الخليل بأنه قال : « الفسر : البيان » بيد أن ما يؤخذ على ابن فارس أنه لم يذكر المعنى الاصطلاحي لا التفصيل ولا للتفسير بل اكتفى بأنه رادف بينهما على أساس معنى البيان واقتصر على هذا ولم يتعده.

على حين كان لإبن فارس إشارة قيمة لمفهوم (التفصيل) على مستوى التطبيق لا التنظير وذلك تحديدًا في (باب ما يكون بيانه منفصلا منه ويجيء في السورة معها أو في غيرها إذ أورد إبن فارس مسردًا من الأمثلة وفي خضمها أتى بأمثلة المجمل الذي يرد تفصيله في نص منفصل عنه من ذلك قوله تعالى « وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ » [1]

نجد أن الفعل (يختصمون) مجمل الحدث فلا يعرف منه هذا الإختصام ،ففصله تعالى كما يرى إبن فارس بقوله هذا بيان منفصل فصل به الفعل يختصمون في الآية السابقة فنجد أن إبن فارس قد تفضل علينا بتطبيق أثبت فيه أن التفصيل قد لا يرد في النص الذي حل فيه المجمل وإنما يأتي في نص منفصل فكانت وظيفة البيان ملازمة للمفصل أينما وجد سواء بالنص المتصل الذي فيه المجمل أم بالنص المنفصل عنه.

أما الجرجاني فيرى أن المفصل هو من جنس بيان التفسير ،فكان بذلك أكثر دقة في تحديد إنتماء المصطلح من إبن فارس والمفصّل عنده هو كل ما أزال خفاء المجمل ونأى به عن الإبهام.

- من المتقدم نقول أن من اللغويين من عرف التفصيل على وفق دلالاته في المعجم فكان معناه (التفريق) ومنهم من رادف بين التفسير والتفصيل على أنهما واحد ،ومن المقولات بأسرها يمكن القول أن التفصيل في منظور علماء اللغة هو بيان وتفسير وظيفته تشخيص محتملات اللفظ المجمل بمتعين ،وغالبًا ما كانوا ينصون في أمثلتهم عن المفصّل بأنه منفصل عن النص الذي تحقق في المجمل من دون أن يوردوا نصًا واحدًا يؤكدون فيه أن المفصّل قد يتجاوزفي نص واحد مع المجمل ،فيكون التفصيل فيه متصلًا لا منفصلًا عن اللفظ المجمل.

[1] سورة النمل الآية 45.

المبحث الثاني : الأدوات اللّغوية للتفصيل في النص القرآني ودلالاتها

المطلب الأول : دلالة التفصيل بضمير الفصل

- لقد حدّد النحاة ضمير الفصل بأنه عمادًا ،ودعامة ،وصفة وهو : ضمير رفع منفصل ،يقع مطابقا لمعرفة قبل مبتدأ أو منسوخ ،بعده معرفة ،جامدًا أو مشتقًا لا إن تقدم متعلقهُ في الأصح.

ولقد سمّاه البصريين بالفصل لأنه فَصَلَ بين المبتدأ والخبر ،وقيل لأنه فصل بين الخبر والنعت ،وقيل لأنه فصل بين الخبر والتابع لأن الفصل به يوضح كون الثاني خبرًا لا تابعًا وهذا أحسن ،لأنه قد يفصل حيث يصلح النعت نحو : كنت أنت القائم ،إذ الضمير لا ينعت.

أما الكوفيون يسمونه : عمادًا ،لأنه يعتمد عليه في الفائدة ،إذ به يتبين أن الثّاني خبر لا تابع.

وبعض الكوفيون يسمونه : دعامة لأنه يدعم به الكلام ،أي يقوّى به ويؤكّد ،والتأكيد من فوائد مجيئه.

وبعض المتأخرين سمّاه : صفة ،قال أبو حيّان : ويعني به التأكيد.

ومن هنا يعمل ضمير الفصل على إبانة خبرية المبتدأ فيكون بهذا تفصيلًا للمبتدأ من حيث إيضاح أن الذي يليه هو مسنده لا نعتًا له فهو يحدّد المبتدأ معناه ويشخصه بتخليصه من التردد بين إسناديته وتبعية مابعده أما إذا ترك المبتدأ مجمل من باب التعلق بما يليه والخبر يمكن أن يُعَدَ مجملا أيضا من حيث إمكانية حسابه على الخبرية أو النعتية في الوقت معًا.[1]

ومن الأمثلة القرآنية على التفصيل بضمير الفصل قوله تعالى : « أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ »[2].

[1] السيوطي – همع الهوامع شرح جمع الجوامع – مطبعة دار المعرفة – بيروت – لبنان.
[2] سورة البقرة الآية -05.

نلحظ أن النص القرآني قد إستعمل (هم) لتفصيل تعلق المبتدأ بما بعد الضمير ،فأدت (هم) فصلًا وفائدته الدلالة على أنّ الواردَ بعده خبر لا صفة ، والتوكيد ،وإيجاب أن فائدة المسند ثابتة للمسند له دون غيره.

لذا فَصَلَ لإزالة الإجمال المتأني من التردد لأن لفظة المفلحون خبر للمبتدأ أولئك لا صفة والمقصود بـ « هم الناجون الذين أدركوا ما طلبوا عند الله بأعمالهم وإيمانهم » فأخبر عنهم بذلك بفعل الضمير هم الذي حدَدَ المتعلق ومن أمثلته أيضا قوله تعالى : « إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَٰئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ »[1].

فقد فَصَلَ سبحانه بقوله (هم وقود) لرفع الإجمال من أن يكون قوله (وقود النار) صفة لهم ،وهو لا يريد ذلك بل بيّن بالتفصيل ليدل على أن أولئك هو الوقود نفسه أي (هم حَطَبُ النار تتقد النار في أجسامهم) وفي الضمير الفصل المبين دلالة لترهيب وترويع بكونهم الوقود نفسه للنار.

- ومما تقدم نصل إلى أن ضمير الفصل أداة لفظية من أدوات التفصيل ترد في النص فتزيل الشبهة عن إجمال المبتدأ لترده في تعلقه بما بعده ،فينص ضمير الفصل تعلق المبتدأ بما يليه فيبين أن مسنده وهو (الخبر) فيؤلف مع الخبر معنًا متكاملًا يدل على الثبوت دون أن يبقى ما بعد المبتدأ مجملًا في تعلقه بما قبله.

[1] سورة آل عمران – الآية 10.

المطلب الثاني : دلالة التفصيل بالبدل

يعرف النحاة البدل على أنه التابع المقصود بما نسب إلى المتبوع دونه والبدل هو المقصود الدلالي الذي يريده المتكلم فهو المعنى الكاشف للمبدل منه المبهم ،سُمي البدل مقصودًا في تعريف النحاة لأنه هو المقصود به تحديدًا المعنى المبدل منه لأنه لإيضاحه (فالبدل القصد به الإيضاح بعد الإبهام وفائدته البيان والتوكيد).[1]

والبدل له أربعة أقسام هي : بدل الكل والبعض والإشتمال والغلط فالأول (بدل الكل) قوله تعالى: « اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ(6) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ » وبدل البعض من الكل كقولك : « جاءني بنو فلان ناس منهم » ولابدّ أن يكون فيه ضمير يعلّقه بالمبدل منه ،قال الله تعالى : «وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ »[2] ،وأما قوله تعالى « وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا » ،فـ «من استطاع » بدل من «الناس» وتقديره : « من استطاع سبيلاً منهم » فحذف الضمير للعلم به ،وأما بدل الإشتمال فنحو قولك : «سَلِبَ زَيْدٌ ثَوْبَهُ ويعجبني عمرو عَقْلَهُ » ولابد أيضا فيه من ضمير يعلقه بالمبدل منه ، قال الله تعالى : «يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ » فقوله : « قتالٍ فيه » بدل من الشهر والضمير فيه عائد إلى الشهر فأما قول الشاعر : { الطويل }

لَقَدْ كَانَ في حَوْل ثَوَاءٍ ثَوَيْتُهُ ..... تفضى لَبَانَاتُ ويسأْمُ سائِمُ

والتقدير فيه : « ثويته فيه » فحذف للعلم فأما بدل الغلط فلا يكون في قرآن ،ولا كلام فصيح ،وهو أن يريد أن يلفظ بشيء ،فيسبق لسانه إلى غيره ،فيقول : « لقيت زيدًا عمرًا » فعمرو هو المقصود ،وزيد وقع في لسانه غلطًا به ،فأتى بالذي قصده وأبدله من المغلوط به ،والأجود في مثل هذا أن يستعمل معه « بل » فيقول « بل عمراً » فإن قيل فما العامل في البدل؟ قيل اختلف النحويّون في ذلك ،فذهب جماعة منهم إلى

[1] إبن الأنباري اسوار العربية – مطبعة دار الجيل – بيروت – ط1 – سنة 1995 – ص157 -
[2] سورة الفاتحة الآيتان 6و7 – وسورة البقرة الآية – 126 – وسورة آل عمران الآية -98.

أن العامل في البدل غير العامل في المبدل ،وهو جملتان ،ويحكى عن أبي علي الفارسي أنه قيل له : كيف يكون البدل إيضاحا للمبدل وهو من غير جملته ؟ فقال : لما لم يظهر العامل في البدل ،وإنّما دلّ عليه العامل في المبدل ،واتّصل البدل بالمبدل في اللفظ ،جاز أن يوضّحه والذي يدل على أنّ العامل في البدل غير العامل في المبدل[1] قوله تعالى : « وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِنْ فِضَّةٍ » فظهور اللام في بيوتهم وهي بدل من " مَنْ" ويدل على أن البدل غير العامل في المبدل ،قوله تعالى : « قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ » فظهور اللام مع « مَنْ » هو بدل « من الذين استضعفوا » فدلَّ على أنّ العامل في البدل هو العامل في المبدل ،كما أن العامل في الصفة هو العامل في الموصوف ومثال عن بدل الكل المفصّل قوله تعالى : « إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا (31) حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا (32) وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا (33) وَكَأْسًا دِهَاقًا (34) »[2] لقد وردت في الآية الكريمة عملية تفصيل ببدل الكل لما أجمل في لفظة مفازًا ،إذ فسَّر المفاز بما بعده وهو قوله حدائق وأعنابا ،والمتأمل نحد أن الله تعالى قد قدم قوله تعالى « للمُتَّقِينَ » وأخر «مفازًا » وذلك للدلالة على أهمية هؤلاء المتقين ،فكأن المراد من هذا (المفاز) هو للمتقين حصرًا دون غيرهم وقد أكد هذا بـ(إنّ) المثقلة ،ومن هنا يمكن القول أن التفصيل ببدل الكل حقق غايتين في الآية : إحداهما : إظهار رغبته سبحانه في بيان ما للمتقين من فضل وأجر ومكانة عنده.

وثانيهما : أن في هذا البدل تحفيزًا شديدًا ودعوة ترغيبية لغير المتقين من أنهم إذا ما دخلوا في سيمة التقوى فإن أجرهم سيكون هذا النعيم وهذه اللذة ، وإن دعوى مجيء هذا البدل التفصيلي إنما كان لإيضاح أن فوز المتقين هو النجاة من العذاب.

من هنا نجد أن بدل الكل قد يأتي في السياق القرآني مفصلًا لما أبهم قبله من اللفظ المجمل فيرفع ذلك الإجمال وينص على المعنى المبتغى وضوحا وتحديدًا فتحل الكثير من الإشكالات التي تحقق بغيابه وابتعاده عن النص ،لأن الدلالة البينة تعمل على الجزم بمراده تعالى دون تردد.

[1] المصدر نفسه ص158.

[2] سورة الزخرف -33- وسورة الأعراف -75- ،سورة النبأ (1-4).

المطلب الثالث : دلالة التفصيل بالتمييز.

التمييز عند النحاة هو اسم نكرة متضمن معنى (من) لبيان ما قبله من إبهام ذات أو نسبة ،وكونه نكره فهي مسألة خلافية ،فالجمهور على أنّه كذلك وذهب قسم من النحاة إلى جواز تعريفه ،مستشهدين بقول الشاعر:

صددت وطبـــــت النفس يا قيس عن عمرو

وبنحو محمد حسن وجهه بنصب الوجه ،والجمهور على زيادة (الـ) في (النص) وأن الوجه ليس تمييزًا وإنّما هو شبيه بالمفعول به.

والظاهر أن التنكير هو الغالب ،وهو الأصل وقد يرد معرفة في تعبيرات قليلة ،وأما تضمنه معنى (من) فليس المقصود أنه يقبل دخول (من) عليه ،فمن التمييز ما يقبل دخول (من) كما في نحو قولك (الله دره فارسًا) و (الله دره من فارس) ،(وهذا ثوب حريرًا) ، (وهذا ثوب من حرير) ، ومنه ما لا تدخل عليه (من) نحو (أقبل خمسة عشر رجلًا) فلا نقول فيه (أقبل خمسة عشر من رجل) ،ونحو (حسن محمد خلقًا) فلا تقول فيه (حسن محمد من خلق) ،وإنما التضمن أمر يعود إلى المعنى.

والتمييز على تقدير (من) البيانية يزيل الإبهام عن الذات أو النسبة تقول (عندي رطل عسلًا) فقد أزالت كلمة (عسل) الإبهام عن المقدار قبله وهو على معنى (عندي رطل من العسل). [1]

التمييز تأسيسا على مفهومه في الفكر النحوي يعد من أهم الادوات التفصيلية التي تعمل في الخطاب اللغوي على إيضاح إبهام الإجمال سواءًا كان مفردًا أو جملة ونلحظ من خلال مفهوم النحاة للتمييز أن التمييز يأتي على قسمين:

1/- تمييز يعمل على تفصيل إجمال المفرد وهو ما يسمى بـ (تمييز المفرد).

2/- تمييز يعمل على تفصيل إجمال نسبة الجملة وهو ما يسمى بـ(تمييز النسبة) التركيبية.

[1] السمرائي : معاني النحو.

وفيما يخص التمييز المفرد يأتي مفصلًا لإسم مجمل قبله سواءًا كان ذلك الإجمال في المقادير وشبهها ،من ذلك قولك في المقدار : (اشتريت أفة عسلًا) فإن لفظة (أفة) معروفة من حيث الوزن الحسابي لها بيد أنها مجملة من حيث معنى ما كان مقداره (أفة) ،فجاءت لفظة (عسلًا) ففصلت ذلك الإبهام وبينته فالأفة مثلا لها وزن معين ومثلها في وقتنا الكيلوغرام.

والمقصود بشبه المقدار ما ليس له مقدار معين ،فليس له وزن محدود ،أو مساحة محدودة ،أو كيل محدود وذلك نحو القدح ،والدن ،والحُبْ.

فالقدح يكون صغيرًا وكبيرًا وكذلك الحب والدن ،تقول (عندي حب عسل) فالحب شبه مقدار لأنه ليس له سعة متفق عليها.

أما فيما يخص العدد فليس مقدرًا عند كثير من النحاة وذلك لأن المقادير تقع تمييزًا له تقول (إشتريت إثنيي عشر مثقالًا ذهبًا ،واحدى عشر لترًا نفطًا ،فالوزن وقع تمييزًا للعدد في الأولى والكيل وقع التمييز له في الثانية أما ما هو فرع التمييز فهو كقولك : (اشتريت خاتمًا ذهبًا) و (قميصًا قطنًا) فهي بمعنى (إشتريت خاتما من ذهب) و (قميصًا من القطن) فالخاتم فرع من الذهب لأن الأخير أصل له وكذا الحال للقميص والقطن فالأول فرع والثاني أصله.[1]

ومن التفصيل بتمييز المفرد في التعبير القرآني قوله تعالى : « وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ »[2]

فنجد أن سبحانه قد فصّل بالتمييز اللفظ المفرد (الف) بقوله (سنة) وفصّلَ اللفظ المفرد (خمسين) بقوله (عاما) فـ(خمسين نصب على الإستثناء وعاما تمييز) جاء لبيانه ،ولولا قوله (سنة) و (عاما) لما عُرِفت هذه الأعداد بدقة ولبقين في حيز الإجمال المبهم ،على حين أنه تعالى في صدد بيان طول المدة التي بقي فيها النبي نوح عليه السلام في قومه من أجل دعوتهم للإيمان بالله تعالى ،لذا وجب هذا المعنى المجيء بهذين التفصيلين تمييزًا للمفرد (العدد) بيد أن ما يثير الإنتباه والتساؤل هو التباين في لفظة التمييز في الموضعين فمرة قال (سنة) وأخرى قال (عاما) وكان لن أو يوحد فيُعرّف المعنى أيضا ولربما نجد عند الزمخشري إجابة عن هذا التساؤل ،إذ

[1] المصدر نفسه.
[2] سورة العنكبوت : الآية – 14.

يقول : (فإن قلت : لما جاء المميز أولاً بالسنة وثانيا بالعام قلت : لأن تكرير اللفظ الواحد في الكلام الواحد دقيق بالإجتناب بالبلاغة) فكأنه نظر إلى هذا الإفتراق في اللفظ المميز نظرة فنية جمالية ،بيد أنه نحسب أن هذا الإختلاف بين (السنة) و (العام) لم يأت لأداء مهمة جمالية في النص بقدر مجيئه لأداء دلالة مضمونية غاية في الأهمية وهي أن التعبير القرآني يستعمل الألفاظ المترادفة بحيثية تمييزية لكل لفظ على وفق مقتضى السياق الواردة فيه.

- أما تمييز النسبة فهو ما يبين إجمال نسبة شيء إلى شيء ،وذلك نحو (حسن محمد خلقا) و(الفضة أنقى بياضا) و (الذهب أغلى ثمنا) فالخلق بيَّن نسبة الحسن إلى محمد ،فليس محمد مبهمًا ،وإنما حسن محمد هو المبهم من أية جهة هو مميز بالخلق وكذا الحال لـ(بياضًا) و (ثمنًا) فقد فصّلت النسبة المبهمة بين المسند والمسند إليه فظهر المعنى الإسنادي بهذا التمييز وأن هذا النوع من التفصيل بالتمييز « يصح أن يقال أنه فسّر العامل لأنه رفع ابهام نسبته إلى معموله ،وأنه فسّر الجملة لأنه رفع إبهام ما تضمنته من النسبة » المجملة.[1]

[1] المصدر نفسه.

ومن التفصيل النسبة بالتمييز قوله تعالى على لسان النبي زكريا (عليه السلام) : « رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيّاً »[1]

فلنحظ أن عبارة : " اشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً " مجملة النسبة لأن الإشتعال قد نسب إلى الرأس على وجه الإجمال المبهم ،لذا جاء سبحانه بـ« شيبا وهي تمييز محوّل من فاعل لأن المعنى اشتعل شيب الرأس» هنا حول الإسناد إلى الرأس وتفسيربـ(شيبا) وقوله تعالى : « اشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً» قالوا أصله (اشتعل شيب الرأس) ،إلا أنّ هناك فرقًا بينهما في المعنى فمعنى قولك (اشتعل شيب الرأس) أن هناك شيبًا في الرأس متفرقا اشتعل ،وأما قوله تعالى« وَ اشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً»

فمعناه أن الرأس قد امتلأ بالشيب ،ومثله (اضطرمت نار البيت) و(اضطرم البيت نارًا جاء في دلائل الإعجاز :ووزات هذا أنك تقول (اشتعل البيت نارًا) فيكون المعنى أن النار قد وقعت فيه وقوع الشمول ،وإنها قد استولت عليه وأخذت في طرفيه ووسطه ،وتقول (اشتعلت النار في البيت) فلا يفيد ذلك بل لا يتقضي أكثر من وقوعها فيه وإصابتها جانبا منها ،فأما الشمول وأن تكون قد استولت على البيت وابتزته فلا يعقل من اللفظ البتة.[2]

[1] سورة مريم : الآية -04.
[2] السمرائي معاني النحو جII ص275.

المطلب الرابع : دلالة التفصيل بـ (أن)

- قد ترد في الخطاب اللغوي (أن) المخففة فتفيد التفصيل بما أبهم من مجمل سبقها ،ولقد توافق جملة من النحاة على أنها تقوم بمهمة التفصيل في النص فتكون بمعنى (أي) التفسيرية ،وأنكر ذلك الكوفيون ،وأثبته البصريون ،فادعى الكوفيون بأنها الناصبة للفعل أي هي (أن) المصدرية ،ورُدَّ عليهم بأنه (ليس ذلك بصحيح ،لأنها غير مفتقرة إلى ما قبلها ولا يصح أن تكون المصدرية إلا بتأويلات بعيدة ،والكلام على مذهب البصريين) تأسيسا على أن دعم التأويل أولى من التأويل فكانت (أن) المخففة تفصيلية لذلك وليست بمصدرية.[1]

- وإذا كان النحاة قد علّلوا أدائها للتفصيل بأنها بمعنى (أي) التفسيرية ،فإن هذا الإتجاه قد جاء لتقريب معنى (أن) في أداء وظيفتها البيانية ،فالمقصود أن (أن) المخففة تقوم بمهمة البيان كما تفعل (أي) التفسيرية فكانت بمعناها من هذا المنطلق وإلا فثمة فروق بينهما فـ(أي يفسّر بها كل مبهم من المفرد نحو : جاءني زيد أبو عبد الله ،والجملة كما تقول : هريق دمه أي مات،قال:

وترمينني بالطرف أي أنتَ مذنبُ ☆ وتقلينني لكن إياكِ لا أقلي

وأن لا تفسّر إلا مفعولا مقدّر اللفظ دال على معنى القول مؤدٍ معناه ،ومن ذلك قوله تعالى : «وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ »[2]

فنجد أن قوله (يا ابراهيم) ،وكذلك قولك : كتبت إليه أن قم ،أي كتبت إليه شيئًا هو (قم) ،و(أن) حرف دال على أن (قم) تفسير للمفعول المقدّر لـ(كتبت) نقول أن ما ذهب إليه النحاة في أن (أن) تفصل محذوف هو مفعول به مقدّر على أن يكون ما قبلها بمعنى القول فيه شيء من التكلف ،ذلك بأن عدم التقدير أولى من التقدير وهو في الأصل ،من ذلك نحسب أن (أن) التفصيلية وما بعدها هي إلا بيان لمضمون الفعل قبلها.

[1] السيوطي : همع الهوامع – ص450 – 451.
[2] سورة الصفات – الآية – 104-.

- ولقد وضع إبن هشام جملة الشروط لـ (أن) حتى تكون تفسيرية وهي : أن تسبقها جملة يكون فيها معنى القول ،وأن تتأخر عنها جملة ،وأن لا يكون في الجملة السابقة حرف من أحرف القول فلا يقال : (قلت له : أن أفعل) ،لأن هذا مقول القول المنطوق لا معنى القول نفسه ،وأن لا يدخل عليها جار فلا يجوز أن يقال : كتبت إليه بأن أفعل وإلا لكانت مصدرية لا تفسيرية.

وبهذا نخلص إلى أن النحاة لهم وجهة نظرهم في (أن) التفصيلية وما بعدها وقد يكون لها قبول ورواج في النص ،بيد أننا نرجح أن (أن) التفصيلية وما بعدها بيان للفعل المجمل ،لأن هذا أقرب للتسليم من القول بوجود حذف ،وفي كلتا الحالتين فإن (أن) المخففة لا تخرج من مهمة البيان التفصيلي لما أجمل قبلها.[1]

ومن أمثلة (أن) التفصيلية قوله تعالى : « وَانطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ »[2]

فلنفظ (أن) التفصيلية وما بعدها قد بينت حدث الفعل (انطلق) فدلالة (أن) في الآية هي (أي التي للتفسير لأن الانطلاق صار بمثابة التكلم فكان إنطلاقهم يعنى انطلاق ألسنتهم وبهذا تكون (أن) في النص القرآني مفسر لحدث الإنطلاق.

- ومن هنا نصل إلى أن المخففة تعد أداة تفصيلية لمضامين الأفعال قبلها وهي على هذا القول أسلم من القول بالتأويل والصنف كما يذهب بعض النحاة وأن يمكن أن ينظر إليها أداة من أدوات التفصيل اللفظية فيهما لو عدّت إشارة وسيلة تنبئ المتلقي بأنها تفصيل إبتداءًا ثم يأتي ما بعدها معها لبيان مضمون الحدث المجمل قبله ،وفي الوقت نفسه يمكن أن ينظر إليها على أنها أداة تفصيلية تركيبية إذ لك تؤخذ بمعزل عما يليها من تركيب فتكون بهذا صالحة لأن تكون أداة للتفصيل المفرد (اللفظ المفصّل) أو المركب (الجملة المُفصّلة) معا.

[1] المصدر نفسه – ص452.
[2] سورة ص الآية -06.

المطلب الخامس : دلالة التفصيل (بجملة الصلة) :

- يعد الإسم الموصول من المبهمات المجملة التي تحتاج إلى بيان ،ذلك بأن المعنى فيه (لا يتم حتى تصله بكلام بعده تام) ولا يكون ذلك الكلام المبيّن إلا (جملة الصلة) التي تلحق به لإزالة غموضه ،لأنك إذا قلت : (جاء زيد) و(رأيت التي) لم يفهم المعنى المقصود فإذا جئت بالصلة اتضح المعنى المقصود لأن الصلة مفصلة له فعلاقة جملة الصلة بالموصول قبلها هي علاقة التفصيل بالإجمال السابق عليه ،لأن الموصول (لا يفهم معناه إلا بضم بعضه إليه فسار لذلك من مقدماته.
- ولذلك كان الموصول مبنيًا فالموصول وحده إسم ناقص الدلالة) على معناه لإفتقاره إلى ما بعده) ولهذا وجب تأخير جملة الصلة عنه لأنها بيان له والبيان لا يتقدم على ما يبنيه.
- وتكون جملة الصلة على نوعين : (جملة) و(شبه الجملة) وتكون الجملة إما إسمية أو فعلية ويشترط فيها الإخبار ووجود ضمير يعود على الموصول يطابقه في الإفراد والتثنية والجمع والتذكير والتأنيث (لأن الجملة عبارة عن كلام قائم بنفسه فإذا أتيت فيها بما يتوقف فهمه على ما قبلها إذن بتعلقها به فعلم بذلك أنها تفصيل وبيان منفصل به يفسره دون غيره ولا يأتي هذا النوع من التراكيب المفصّلة إلّا متصلا مع مجمله في النص.[1]
- و من أمثلة بجملة الصلة قوله تعالى : « وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنبِيَاءَ اللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ »[2]

عند التأمل في النص نجد أن هناك أكثر من جملة الصلة قد فصلت أكثر من موصول فالأسماء الموصولة التي وردت في الآية قد عبر عنها جميعًا بها وهي مجملة شديدة على الإبهام ،ويبدو أن كثرة ورود الصلات المفصلة في الآية قد حقق دلالة مضمونية غاية في اللطافة ذلك بأن الإسم الموصول من جهة التسليم النحوي مرتبط بورود جملة صلة توضحها وتفسرها وتزيل إبهامه وتكمل معناه وهذا يدل على أن استعمال الإسم الموصول (المجمل) وصلاته (المكملة له تفصيلًا) بهذه الكثرة في النص تمنحه سمة شمولية توحي للمخاطبين (اليهود) بأن ما لديهم له

[1] السمرائي – معاني النحو –ج1-ص127.
[2] سورة البقرة : الآية -91.

حاجة إلى ما يليه لكي يكون متوجهين من النقص إلى الكمال كما أن الموصول ينتقل لفهم معناه تكاملًا إلى جملة الصلة.

و من ذلك قوله تعالى : « إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُولَٰئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (17) وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا »[1]

نجد ان الآية الأولى قد جاء فيها تفصيل بجملة الصلة وهو قوله « يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب » ، إذ بينت إبهام الإسم الموصول (الذين) وجاءت الصلة المفصلة بالجملة في الآية الثانية في عبارة « يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ » وعبارة « يموتون وهم كفار أولئك اعتدنا لهم عذابًا أليمًا » والآيتان مسوقتان لبيان من تقبل توبته ممن لا تقبل له توبة ،وقد صدر سبحانه الآية الأولى بقوله « إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ » فكأنما حصر التوبة وجوبًا لهؤلاء المذكورين تفصيلا بالصلات ،وذلك بأداة الحصر (إنما) من جهة ودلالة (على) من جهة أخرى لأنها أفادت الوجوب.

- فنجد أن جمل الصلات قد فصلت لنا الكثير من الدلالات التي لو أهملت في النص لأحيل النص إلى جملة مبهمات لا يعرف المراد منها ،ثم إن هذه التراكيب قد أظهرت روعة وجمالية كبيرة في النص من حيث طبيعة هيأتها وانتقاء اللفظ المعبر المناسب لها ،ودلالات التعليل التي انطوت عليها ،فأنتجت إلى جانب قيمتها المضمونية الثمينة جانبا فنيًا غاية في الرفعة والإعجاب وكل ذلك البيان جارٍ بجملة تفصيلية متصلة بموصولها المجمل في نص واحد.[2]

[1] سورة البقرة الآية 17-18.
[2] الطوسي : التبيان ج4 ص420.

الجانب التطبيقي لأسلوب الإجمال والتفصيل الوارد في بعض الآيات القرآنية

المثال الأول : قوله تعالى : « اِهدِنَـــا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ »[1]

إذا جاء الإجمال ترقب وتشوقت النفس لمعرفة تفصيله وبقيت مستعدة متشوقة للتفصيل ففي الآية الكريمة إجمال وإبهام في تحديد الصراط ومواصفاته وأهله ومن سيسلكه لتأتي الآية الكريمة بعد ذلك لإزالة الإبهام وبيان الإجمال فيقول تعالى : « صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ »[2] الآية التالية أتت تفصيلا لأهل الصراط فهم الذين أنعم الله عليهم بالإيمان وليسوا من المغضوب عليهم ولا من الظالين.

المثال الثاني : قوله تعالى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ » [3] في هذه الآية الكريمة إجمال حول تحريم الخمر واستفسار عن حكم تعاطي الخمور فجاء تفصيل الآية التالية لبيان حكمهم وإزالة الإشكال عن استفسارهم.

قوله تعالى : « لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ »[4] ،كما أن تفصيل الآية الأولى جاء أيضا في قوله تعالى : « يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ » [5]

وهذه الآية شاهد ودليل على جواز تأخير البيان عن وقت الخطاب إلى وقت الحاجة وعلى جواز كون الإجمال في سورة والتفصيل والبيان في سورة أخرى.

[1] سورة الفاتحة : الآية- 05.
[2] سورة الفاتحة : الآية – 06.
[3] سورة المائدة : الآية – 90.
[4] سورة المائدة : الآية – 93.
[5] سورة البقرة : الآية – 219.

- **المثال الثالث :** عن قيام الساعة وما يكتنفها من الأهوال ،قوله تعالى : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ »[1]

فقوله (شَيْءٌ عَظِيمٌ) هو عبارة مجملة لا توضح معالم وحدود هذا الشيء الذي وصفه النّص بأنه عظيم أما ماهي تفصيلات هذا الشيء ،فَأَمْرٌ قد سكت عنه النّص في هذه الآية لتأتي الآية التالية تفصيلا لها يقول تعالى: « عَظِيمٌ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللهِ شَدِيدٌ »[2]

فَذُهُول المرضعة ،ووضع الحامل لحملها وكون الناس سكارى وما هم بسكارى هو تفصيل وتبيين وتوضيح لذلك الشيء العظيم الذي أجمله النص في الآية الأولى.

- **المثال الرابع** : عن قيام الليل قوله تعالى : « يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ (1) قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا »[3] أجمل النص قيام الليل إلّا قليلا والآيتين التاليتين قد فصّلتا هذه الآية.

قوله تعالى : « نِّصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا (3) أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا (4) »[4]

فنصفه أو أقل منه أو أكثر هو تفصيل كما أجمله في عبارة " قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا "هذا يعني أن الإجمال والتفصيل هنا مرتبطان لا ينفصل أحدهما عن الآخر.

[1] سورة الحج : الآية – 01.
[2] سورة الحج : الآية – 02.
[3] سورة المزمل : الآية – 01-02.
[4] سورة المزمل : الآية -03.

المثال الخامس : قال موسى لأصحابه : « قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ »[1]

فهلاك العدو ،والإستخلاف ،والنظر فيما سوف يعمله الإسرائيليّون عبارات فيها إجمال لا تتبيّن فيها معالم وحدود وتفصيلات الهلاك والإستخلاف والنظر في سلوك الإسرائيليين...

بعد أن يقطع النصّ رحلة طويلة يتحدّث فيها عن فرعون وقومه ،يجيء فيفصّل الحديث عن الهلاك. (حادثة غرق فرعون وقومه) قال الله تعالى : « فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ » [2] وعن الإستخلاف قوله تعالى : « وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ (137) »[3]

- **المثال السادس :** قوله تعالى : « إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ »[4] فبداية السورة مجملة تتحدث عن إرسال نوح والإنذار والعذاب ،حتى تنتهي السورة وتنحصر تفصيلاتها لتلكم البداية المجملة بحيث لا تتناول السورة أي موضوع آخر بل تتحدّث عن تفصيل لما أجملته مقدّمة السورة الكريمة.....

[1] سورة الأعراف : الآية -129.
[2] سورة الأعراف : الآية -136.
[3] سورة الأعراف : الآية -137.
[4] سورة نوح : الآية – 01.

الخاتمة :

بعد الدراسة الإستقرائية للآيات القرآنية ذات المعاني الإجمالية ،وربطها بالآيات ذات المعاني التفصيلية والآليات اللغوية التي يعرف بها في النص القرآني توصلنا إلى مجموعة من النتائج أهمها :

1- لقد وجدنا إختلافا كبيرًا بين علماء اللغة ،والنحو ،والبلاغة والأصول في حدهم لمفهوم الإجمال فمنهم من حده تحت مصطلح آخر ،ومنهم من أطلق حدود المفهوم فأدخل ما هو ليس من جنس المجمل فيه.

2- يوجد للإجمال أدوات يمكن أن يعبر بها عنه في الخطاب اللغوي سواء الإلهي منه أم البشري فمن الأدوات ما كان في حدود اللفظ مثل (النكرة المثبتة التي تدل على معاني غير قالبة للتجزؤ) ،و (المعارف :كالمعرف بالألف واللام الـ).

3- ومما يرد فيه الإجمال أيضا (الاستثناء) و(أفعل التفضيل).

4- لقد أدلى العلماء كل بدلوه في مفهوم التفصيل فجاء حديثهم عنهم مفرقًا تارة ومقتضبًا تارة أخرى وتحت مصطلحات تارة ثالثة.

5- إن التفصيل يعدّ من الأصالات في الخطاب اللغوي ،لأن الأصل في اللغة عدم الإشتراك ومن هنا يمكن القول أن التفصيل أسبق مرحلة ووجودًا في اللغة من الإجمال ،فالإجمال يأتي في مرحلة لاحقة عليه.

6- إن للتفصيل أدوات لها تداعيات دلالية كما لها أثر في توجيه النص القرآني مضمونيا رغبة منا للربط بين النظرية والتطبيق فكانت الأدوات التفصيلية تأسيسا على هذا على صنفين : منها ما ينحصر في نطاق اللفظ المفرد مثل : أن التفصيلية – ضمير الفصل – التمييز (المفرد – الجملة) ،وبدل الكل ،وبدل الإشتمال ،وأن من التفصيل ما يرد في نطاق التركيب (الجملة) وهو جملة الصلة وجملة بدل الكل.

7- دراسة أسلوب الإجمال والتفصيل في القرآن الكريم أظهرت لنا جمال السياق القرآني ،وروعة بيانه من خلال المعنى الواضح الكامل ،الذي لا تشوبه شائبة ،ولا تنتابه نائبة.

8- إن فهم القرآن الكريم وإدراك معانيه لا يكون من خلال نص مجتزأ ،أو مقتبس من مجموعة من الآيات القرآنية ،بل لابد من جمع النصوص ذات الموضوع ،والمضمون الواحد.

9- إن فهم القرآن الكريم مرتبط بإدراك أساليب البلاغة ،وفهم مراميها وأغراضها إذ بها يتضح المعنى : وتزل الشبهات ،والإشكالات في فهم بعض الآيات القرآنية.

10- أسلوب الإجمال والتفصيل يلقي الضوء على أنواع الإعجاز القرآني وخاصة الإعجاز البياني المختص بالألفاظ والتراكيب القرآنية.

11- النص القرآني محكم لا تعارض بين آياته ،ولا إشكال في اخباره وأسراره ،وبإدراك أسلوب الإجمال والتفصيل تزول الأفهام الخاطئة ،ويزول اللثام ويتضح المعنى بالتمام.

12- أسلوب الإجمال والتفصيل يظهر للأشياء روعتها ،ويصورها بما تستحق ،فيعظم ما حقه التعظيم ،ويفخمه ويبجله ،وبذلك تظهر روعة السياق القرآني.

نسأل الله التوفيق والسداد فإن أخطأنا فمن أنفسنا والشيطان ،وإن أصبنا فمن الله وحده ،وعلى الله توكلنا وإليه أَنَبْنَا ومنه سبحانه الجزاء.

قائمة المصادر والمراجع :

- ابن عطية الأندلسي: المحرر الوجيز في تفسير القرآن –مطبعة دار الكتب العلمية –بيروت ط1 سنة1993.
- التفتازاني : مختصر المعاني ،مطبعة قدس – قم ،ط1 ،1411هـ.
- الجوهري : الصحاح : ج5 مطبعة دار العلم للملايين – بيروت ،ط،1407.4
- الطبري: جامع البيان في تأويل القرآن – دمشق – سوريا – سنة 1964.
- الطوسي: التبيان –ج4-مطبعة قم- مكتبة الإعلام الإسلامي ،ط،13791هـ.
- العلوي: الطراز-ج3 مطبعة المقتطف – مصر ،1332هـ.
- الرازي: التفسير الكبير – ج18 مطبعة دار الكتب العلمية – بيروت ،1421هـ-2000م.
- الراغب الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن ج1.
- الفراهيدي : الحين : ج6،7 ،مطبعة دار الهلال ،د.ت.
- القزويني : الإيضاح في علوم البلاغة – مطبعة إحياء العلوم – بيروت لبنان –ط4 سنة 1998.
- الهاشمي: جواهر البلاغة - مطبعة دار الكتب العلمية – بيروت لبنان – سنة 2001.
- او بكر الرازي : أصول الحصاص : دار الكتب القومية – القاهرة – ط1.
- فخر الإسلام البزدوي – أصول البزدوي – طبع دار الكتب العربي – بيروت –ج3 سنة 1394.
- ابن الحاجب : الكافية في النحو : مطبعة دار الكتب العربية ، بيروت- لبنان.
- الزمخشري : المفصل في علم العربية ،مطبعة دار الجيل ، بيروت – لبنان.د.ت.
- الصبان: حاشية الصبان: ج2 – مطبعة دار أحباء الكتب العربية – مصر ،د.ت.

- أبو هلال العسكري : الفروق اللغوية ،مطبعة الآفاق الجديدة – بيروت ،ط979،3.
- ابن فارس: الصاحبي في فقه اللغة مؤسسة أ بدران للطباعة والنشر ،بيروت – لبنان 1372.
- السيوطي : همع الهوامع شرح جمع الجوامع – مطبعة دار المعرفة – بيروت –لبنان ج1.
- ابن الأنباري : أسرار العربية – مطبعة دار الجيل بيروت-ط1- سنة 1995.
- السمرائي: معاني النحو جI وج II مطبعة التعليم العالي – الموصل 1986م-1987م.
- ابن منظور: لسان العرب : ج11 مطبعة دار صادر للطباعة والنشر بيروت – لبنان ط.و.
- الجرجاني: التعريفات – مطبعة دار الكتاب العربي – بيروت ،1904هـ.
- الجائزي: الكافية في النحو – مطبعة دار الكتب العربية ،بيروت – لبنان ،د.ت.
- الزمخشري: الكشاف ج4 : مطبعة دار أحياء التراث العربي – بيروت ،ط2001،2م.
- الطبطبائي: الميزان: مطبعة طهران- دار الكتب الإسلامية ،ج20،13،ط،13973هـ.
- العنابي ،سيروان عبد الزهرة هاشم : الإجمال والتفصيل في التعبير القرآني ،دراسة في الدلالة القرآنية ،كلية الآداب ،قسم اللغة العربية ،جامعة الكوفة،2006م.

الفهرس

شكر وعرفان

إهداء

إهداء

مقدمة أ

مدخل 1

الفصل الأول: الإجمال في النص القرآني 7

مفهوم الإجمال: 7
المبحث الأول 7
المطلب الأول: 7
أولا : مفهوم الإجمال عن الأصوليين 8
ثانيا : مفهوم الإجمال عند المفسرين: 10
ثالثا : مفهوم الإجمال عند البلاغيين: 11
رابعا:مفهوم الإجمال في اصطلاح النحويين: 12
1- المفصل لإجمال الذات 13
2- المفصل لإجمال نسبة: 13
خامسا :مفهوم الإجمال في اصطلاح البلاغيين : 13

المبحث الثاني: الأدوات اللغوية الإجمال في النص القرآني ودلالاتها 14

المطلب الأول: دلالة الإجمال في النكرة 14
المطلب الثاني :دلالة الإجمال في (المعرفة): بـ(الـ) 16
المطلب الثالث: دلالة الإجمال في الاستثناء: 18
رابعا دلالة الإجمال في (أفعل) التفضيل: 20
خامسا: دلالة الإجمال في الاستفهام الإنكاري: 22
سادسا: دلالة الإجمال في الأفعال: 24

الفصل الثاني: التفصيل في النص القرآني. 72

المبحث الأول : مفهوم التفصيل في اللغة والاصطلاح. 27
المطلب الأول : مفهوم التفصيل في المعجمات اللغوية. ERREUR ! SIGNET NON DEFINI.
أولًا : مفهوم التفصيل عند الأصوليين. ERREUR ! SIGNET NON DEFINI.
ثانيًا : مفهوم التفصيل عند المفسرين 30
ثالثًا : مفهوم التفصيل عند البلاغيين 32
رابعًا:مفهوم التفصيل في اصطلاح النحويين 34
الفرع الخامس : مفهوم التفصيل عند اللغويين. 37

المبحث الثانى : الأدوات اللّغوية للتفصيل فى النص القرآنى ودلالاتها 39

المطلب الأول : دلالة التفصيل بضمير الفصل 39
المطلب الثاني : دلالة التفصيل بالبدل 41
المطلب الثالث : دلالة التفصيل بالتمييز. 47
المطلب الرابع : دلالة التفصيل بـ (أن) 47
المطلب الخامس : دلالة التفصيل (بجملة الصلة) : ERREUR ! SIGNET NON DEFINI.

الجانب التطبيقى لأسلوب الإجمال والتفصيل الوارد فى بعض الآيات القرآنية 51

الخاتمة : 54